

"قد" اسماً وحرفاً

دلالاتها واستعمالاتها

الدكتور عبد الكافي توفيق المرعب

مدرس في قسم اللغة العربية كلية الآداب - جامعة البعث

نشر هذا البحث في مجمع اللغة العربية المجلد (٨٦) الجزء الأول (دمشق - سوريا)

"قد" اسماً وحرفاً دلالاتها واستعمالاتها

لا شك أنّ اللهجات وليده ظروف مختلفة منها: "جغرافية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية". ولا يمكن انتشار لغة من اللغات إلا بعد تعدد لهجاتها، فتظهر لهجة أهل المدّر إلى جانب لهجة أهل الوبر، وتتميز لهجة الشمال من لهجة الجنوب.

والرحلة والتجارة هما أثر كبير في اتصال لهجة بأخرى. وللعربية لهجاتها قديماً وحديثاً، فإلى جانب لهجة قريش عُرفت في الجاهلية لهجات أخرى. ويبدو أثرها واضحاً في المترادفات والأضداد، والقراءات السبع وما جاوزها، والشواهد النحوية واختلاف مدلولها^(١). ومن هذه المترادفات: "قد وقدي وقديني، وقط وقطني وقطني، وبجل وبجلي وبجلي" بمعنى "حسب أو حسبي"، و"قد" بمعنى "هل ورب وما"، وهي مدار بحثنا عن "قد" اسماً وحرفاً.

"قد" تأتي في الكلام اسماً وحرفاً، فإذا كانت اسماً فهي على ضربين:

أحدهما: اسم يأتي بمعنى حسب. وثانيهما: اسم فعل ماضٍ بمعنى "كفى" تستعمل استعمال أسماء الأفعال. وقبل الحديث عن حرفيتها لا بدّ من الوقوف عليها اسميةً ثم حرفيةً عند أصحاب اللغة والنحو والتفسير، وما تتعاوره ويتعاورها من أسماء وأحرف أخرى نحو ((قط وبجل وحسب وهل ورب وما)) والوقوف على دلالاتها واستعمالاتها الاسمية والحرفية، ثمّ ذكر النتائج في نهاية البحث.

أولاً: "قد" اسماً يأتي على ضربين:

- "قد" التي تأتي اسماً مرادفاً لـ "حسب":

- "قد" التي تأتي اسماً لفعل ماضٍ بمعنى "كفى":

ثانياً: "قد" حرفاً وله معانٍ كثيرة سنقف عليها فيما بعد.

(١) انظر لهجات العرب ص ٧-٨ بتصرف.

– "قد" الاسمية التي تأتي بمعنى "حَسْبُ":

• دلالاتها اللغوية:

إذا جاءت "قد" اسميةً فهي: ((كلمةٌ دلَّت على معنىٍ كائنٍ في نفسها، من غير حاجةٍ إلى انضمام كلمةٍ أخرى إليها لاستقلالها بالمفهومية))^(١).

أي: إذا كانت "قد" اسماً، فهي كلمةٌ تدل على الاكتفاء دون أن تنضمَّ إلى كلمةٍ أخرى لفهم معناها. قال المبرِّد^(٢) (ت ٢٨٥هـ): ((تكون "قد" اسماً إذا كانت في موضعِ حَسْبُ)). أي: "حَسْبُ" كلمةٌ دلَّت على معنىٍ في نفسها من غير أن تنضمَّ إلى كلمةٍ أخرى، إذ تعني كافياً، وكافٍ كلمةٌ شأنها شأن "قد" التي تأتي اسماً بمعنى "حَسْبُ".

و"قد" مثل قَطْ، وقَطْ مثل بَجَلْ، وكلها تعني حَسْباً. أما "قد" وقَطْ و"بجَل" من حيثُ اللغةُ فهي:

– "قد": يدل على قطع الشيء طولاً، قال ابن فارس^(٣) (ت ٣٩٥هـ): ((قد: القاف والداد أصل صحيح يدل على قطع الشيء طولاً ثم يستعار، يقولون: قدَّذت الشيء قدّاً إذا قطعتهُ طولاً، ويقولون: هو حسن القدّ أي التقطيع في امتداد قامته)).

و"قَطْ": يدل على قطع الشيء عرضاً بسرعة، قال ابن فارس^(٤): ((قَطْ: القاف والطاء أصل صحيح يدل على قطع الشيء بسرعة عرضاً)).

و"بَجَلْ" يدل على الكفاف والاحتساب، قال ابن فارس^(٥): ((الباء والجيم واللام أصول ثلاثة: أحدها الكفاف والاحتساب، والآخر الشيء العظيم، والثالث عِرْق. فالأول قولهم: بَجَلْ بمعنى حَسْبُ. يقول منه أبجَلني كذا كما يقول كفاني و أحسبني)).

إذن "قد" وقَطْ "لغةً: يدلان على قطع الشيء طولاً وعرضاً، و"بَجَلْ" يدل على الاكتفاء والاحتساب.

• استعمالاتها:

"قد" وقَطْ "الغتان يستعملان في "حَسْبُ"، قال الخليل^(٦) (ت ١٧٥هـ):

((قد مثل قَطْ على معنى حَسْبُ، تقول: قَدِي أي حَسْبِي، قال النابغة^(٧):

(١) انظر شرح الحدود النحوية للفاكهي ص ٢٦٢.

(٢) المقتضب ١/١٨٠.

(٣) مقاييس اللغة ٥/٦.

(٤) مقاييس اللغة ٥/١٣.

(٥) مقاييس اللغة ١/١٩٩.

(٦) كتاب العين ٥/١٦.

(٧) ديوانه ٢٤، و انظر الكتاب ٢/١٣٧، والدرر اللوامع ١/٢١٦.

قالت ألا لَيْتَما هذا الحمام لنا
إلى حماماتنا ونُصْفُهُ فَقَدِ)).

جاءت "قد" في بيت النابغة بمعنى "حسي" أي كافٍ لنا. وقال طرفة: (١)

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة
إذا قيل مهلاً قال حاجزُهُ قدي

كذلك استعملت "قدي" في بيت طرفة بمعنى حسي أيضاً. ف"قد و قدي" سيان من حيثُ المعنى.

وتستعمل "قد" استعمال "حسب" من حيثُ المعنى والإضافة، إذ تضاف "قد" إلى كل ما تضاف إليه "حسب"، إلا أنّ حسباً تضاف إلى ياء المتكلم من غير نون الوقاية، قال ابن مالك (٢) (ت ٦٧٢ هـ): ((تكون "قد" بمعنى "حسب"، أي كافٍ فتوافقها في الإضافة إلى المفعول، وفي لزوم أحد جزأي الابتداء، كقولك: "قد زيدٍ درهمٌ": كما تقول: "حسبُ زيدٍ درهمٌ"، ف"قد" في هذا اسم لمرادفتها لما ثبت اسميئته معنى واستعمالاً، وهي مبتدأ و"درهم" الخبر، ولكنها مبنية على السكون لوضعها على حرفين وشبهها بـ "قد" الحرفية فلم يظهر فيها الرفع. وتضاف "قد" إلى كل ما تضاف إليه حسب، إلا أنّ حسباً تضاف إلى ياء المتكلم مجردةً من نون الوقاية كقوله: (٣)

فإما كرامٌ موسرون لقيهم
فحسبي من ذي عندهم ما كفاني

ف حسي أضيفت إلى ياء المتكلم من غير نون الوقاية في بيت الشاعر.

أي: تستعمل "قد" مبنية على السكون استعمال "حسب" غالباً، لأنها على حرفين إذ ضارعت "قد" الحرفية وهذا لا يعني أنها لا تأتي معرفةً بالرفع، قال الكفوي (٤) (ت ١٠٩٤ هـ): ((وتأتي "قد" معرفةً بالرفع، نحو: "قد زيدٍ درهمٌ" أي حسبُ زيدٍ درهم)). ف"قد" مبتدأ مرفوعٌ و"درهمٌ" خبرُهُ. أما "قط" التي تأتي بمعنى "حسب" فهي ساكنة الطاء، قال الخليل (٥): ((قط: خفيفةٌ هي بمنزلة حسب، يقال: "قطك هذا الشيء أي: حسبُك"، قال الراجز (٦):

امتلاً الحوض وقال قطني
حسي رويداً قد ملأت بطني

(١) ديوانه ٤٢، و انظر شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ٩٠، ومقاييس اللغة ١٣/٥، ومعجم أسماء الأفعال ١٠٦. والمعنى: إنه يثق بسيفه الذي لا ينبو والذي قال حاجز

:حسبك فإنك أتيت على ما تريد.

(٢) شرح التسهيل ١٠٧/٤.

(٣) البيت لـ منظور بن سحيم الفقعسي، انظر شرح التسهيل ١٠٧/٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٥٠/٦، والدرر اللوامع ٢٦٨/١.

(٤) الكلبيات ٦١/٤-٦٢، وانظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢٠٨/٣، ومعجم أسماء الأفعال ص ١٠٤، والتاج (قد).

(٥) كتاب العين ١٤/٥.

(٦) البيتان في مجالس ثعلب ١٥٨/١، وإصلاح المنطق لابن السكيت ٥٧، ٣٤٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣١/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١٣٧/١، والمختص

٦٢/١٤، ومقاييس اللغة ١٤/٥، ومعجم أسماء الأفعال ١٠٦، واللسان (قط). مع اختلاف في رواية البيت الثاني: مهلاً رويداً وسلأ رويداً.

ف "قط" ساكنة في قول الخليل جاءت بمعنى حسب. "و قطني" في بيت الراجز جاءت بمعنى "حسي" ف "قط و قطني" متساويان من حيث المعنى، وأما "بجل" ساكنة اللام فهي تأتي بمعنى "حسب" أيضاً، قال الخليل^(١): ((بجل بمنزلة حسب، وهو مجزوم لاعتماده على حركة الجيم، ولأنه لا يمكن في التصريف، قال الراجز^(٢):

نحن بني ضبة أصحاب الجمل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقال لييد^(٣):

فمتى أهلك فلا أحفله
بجلي الآن من العيش بجل

ف "بجل" في بيت الراجز جاءت ساكنة، وفي بيت لييد مضافة إلى ياء المتكلم فهي مكسورة اللام بسبب الإضافة، وكل منهما جاء مبنياً بمعنى "حسب".

ف "قد و قط و بجل" ساكنة الأواخر تأتي أسماء بمعنى "حسب"، فيقول المتكلم: "قدي و قطي و بجلي أي حسي"، والمخاطب: "قدك و قطك و بجلك" إذ^(٤) ((جاء في صفة جهنم عندما تُسأل هل امتلأت؟ فتقول هل من مزيد؟ حتى إذا أوعبوا^(٥) فيها قالت: قد قد أي حسي حسي، ويروى بالطاء بدل الدال قط قط، وهو بمعناه. ومنه حديث التلبية، فيقول: قد قد بمعنى حسب، وتكرارها لتأكيد الأمر، ويقول المتكلم: قدي أي حسي، والمخاطب: قدك أي حسبك. وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه: قدك يا أبا بكر)). وقال الليث^(٦): ((قط خفيفة بمعنى حسب، تقول: قطك الشيء أي حسبك، قال: ومثله قد)). و قطي مثل قدي تأتي بمعنى حسي، قال أبو عمرو الشيباني^(٧) (ت ٢٠٦هـ): ((قال: و قطي وأنشد:

قطي أبداً من ذكر ما عند سالم
وما بي إلا اليأس بعد التلوم

وقال: قطي منه أي حسي منه)). و بجلي مثل حسي، ومنه الحديث^(٨): ((فألقى تمرات في يده، وقال:

بجلي من الدنيا أي حسي منها)).

^(١) كتاب العين ١٣٤/٦ بتصرف يسير.

^(٢) البيتان للأعرج المعني وهما في شرح الحماسة للمرزوقي ٢٩١/١، وفي شرح المفصل لابن يعيش ٨٩/٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٤٠٠/٢، وجمهرة اللغة (بجل) ٢٦٩/١.

^(٣) ديوانه ١٩٧، وانظر العين ١٣٤/٦، والصحاح، وأساس البلاغة، واللسان، والتاج (بجل). وحفلت به: باليت به.

^(٤) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩/٤، ومعجم أسماء الأفعال ١٠٤-١٠٥ واللسان والتاج (قدد) بتصرف.

^(٥) أوعبوا فيها: حشدوا واجتمعوا فيها. انظر اللسان (وعب).

^(٦) انظر اللسان (قطط).

^(٧) كتاب الجيم ٧٤/٣، وانظر اللسان (قطط).

^(٨) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٨/١، واللسان والتاج (بجل).

إنَّ "قَدْ" وقدي وقطْ وقطي وَبَجَلْ وَبَجَلِي " في الأحاديث التي وقفت عليها، وبيت الشعر الذي أنشده أبو عمرو، جاءت بمعنى "حَسَبُ وَحَسْبِي".

ويأتي "قدي وقدي" اسماً مرادفاً لـ "حسي" أيضاً، فهما سواء في المعنى، قال ابن دريد^(١) (ت ٣٢١هـ): ((وأما قولهم: قدي من كذا وكذا في معنى حسي، ويقولون: قدي وقدي في معنى حسي)). وقال الأزهري^(٢) (ت ٣٧٠هـ): ((قال الليث: قد مثل قط، تقول: قدي وقدي)).

من خلال ما قاله ابن دريد والأزهري، يبدو للوهلة الأولى أنّ "قدي" أصلٌ و"قدي" فرع محمول عليه. قال الجوهري^(٣) (ت ٣٩٣هـ): ((وأما قولهم: "قدك" بمعنى "حسبك"، فهو اسم، تقول: قدي وقدي أيضاً على غير قياس، لأنّ هذه النون إنما تزداد في الأفعال وقاية لها، مثل ضَرَبَنِي وَشَتَمَنِي. قال الراجز^(٤)):

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيثِينَ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمَلْحِدِ

وأما قوله: "قدي" بالنون على غير قياس فلعله سهوٌ وقع فيه الجوهري، إذ جعل هذه النون مخصوصةً بالأفعال لا غير. قال ابن بري^(٥) (ت ٥٨٢هـ): ((وليس كذلك، وإنما تزداد وقاية لحركة أو سكون في فعل أو حرف، كقولك في "مِنْ وَعَنْ" إذا أضفتها إلى نفسك "مَيَّ وَعَمِّي"، فزادت نون الوقاية لتبقى نون "مِنْ وَعَنْ" على سكونها، وكذلك في "قَدْ وقَطُ". أي: "قدي وقطي" لا بدّ من النون فيهما، وإن حُذفت في الشعر فهي لضرورة شعريّة، قال سيبويه^(٦) (ت ١٨٠هـ): ((وقد جاء في الشعر: "قطي وقدي". فأما الكلام فلا بدّ فيه من النون، وقد اضطر الشاعر فقال: قدي، شَبَّهَهُ بحسي لأنّ المعنى واحد)).

وقال ابن يعيش^(٧) (ت ٦٤٣هـ): ((والشاهد في البيت حذف النون من "قدي" تشبيهاً لها بحسي إذ كان معناهما واحداً، وإثباتها هو المستعمل لأنّها في البناء ومضارعة الحروف بمنزلة "مِنْ وَعَنْ" فألزموها النون قبل الياء لئلا يُغَيَّرَ آخرها عن السكون)).

(١) جهرة اللغة ١١٣/١ و ٢٦٧/٢.

(٢) تكملة اللغة ٢٦٧/٨.

(٣) الصحاح (قده) ٥٢٢/٥.

(٤) نُسب الرجز إلى حميد الأرقط، ونسبه ابن يعيش إلى أبي بجدلة، وقيل: هو أو نخيلة، والخبيثان مثنى حبيب مصعراً وأراد بهما عبدالله بن الزبير وولده حبيباً، أو أخاه مصعباً، وثقّ الراجز على التغليب وقيل من قال: الخبيثين بلفظ الجمع، فإنّه أراد عبد الله وشيعته. والإمام: هو عبد الملك بن مروان الذي قاتل عبد الله بن الزبير وأصحابه، وعرض به عبدالله بن الزبير ووصفه بالبحل والشُّحّ والإلحاد لأنّه ألحد في الحرم إذ استحلّ حرمة وانهكها. والبيتان في الكتاب ٣٧١/٢ وفي إصلاح المنطق ٣٤٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١٣٧/١، وشرح الرضي على الكافية ٤٥٣/٢، و شرح المفصل لابن يعيش ١٣١/٢ و ١٢٤/٣، ومغني اللبيب ٥٢٦/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨٣/٤، وخراتة الأدب ٣٨٢/٥.

(٥) انظر اللسان (قده).

(٦) الكتاب ٣٧١/٢، و انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٨٤/٤، واللسان (قده).

(٧) شرح المفصل لابن يعيش ١٢٤/٣، وانظر اللسان (قده).

وقال الرضي^(١) (ت ٦٨٨ هـ): ((و"مِنْ وَعَنْ وَقَدْ وَقَطُّ" كذا قال الجزولي: إِنَّ إثبات النون فيها هو الأشهر)).

وقال ابن مالك^(٢): ((قد" تضاف إلى الياء مجرّدة ، ومع نون الوقاية، قال الشاعر:

إذا قال قدني قال بالله حَلْفَةٌ لتغني عني ذا إنائك أجمعا)).

من خلال ما جاء به سيوييه، وابن بري، وابن يعيش، وابن مالك، والرضي في هذا الموضوع وهو مجيء نون الوقاية مع "قَدْ وَقَطُّ وَمِنْ وَعَنْ"، أي "قدني وقطني وميني وعيني" هو الأشهر. وهذا لا يعني أنّ حذف النون من "قدني وقطني وميني وعيني" غير جائز البتة، إذ ((جاء عن بعض العرب "ميني وعيني" بحذف نون الوقاية، وأنشد بعضهم:

أيا السائل عنهم وعيني لست من قيس ولا قيس ميني

وهو قليل في الاستعمال وإن كان القياس لا يباه كل الإباء من حيث كانت حروفاً، والحروف قد تأتي بالنون والياء نحو: "ميني وعيني" وقد تأتي بالياء وحدها نحو: "ابي ولي"، فلذلك حذفها حملاً لها على غيرها من الحروف))^(٣).

وثمة تبادل واضح بين "قَدْ وَقَطُّ" وهما بمعنى حسب، لكن لم يتمكنا في التصريف إلا في حال الإضافة، قال الخليل^(٤): ((قَدْ وَقَطُّ لغتان في حسب لم يتمكنا في التصريف، فإذا أضفتها إلى نفسك فوّيتا بالنون، فقلت: "قدني وقطني" كما فوّوا "عيني وميني ولدني" بنون أخرى)).

لكن اختلف الكوفيون والبصريون في نون "قطني وقطني"، فالفريق الأول جعلها في محلّ نصبٍ مثل نون كفاني، والفريق الثاني جعلها عماداً لا محلّ لها من الإعراب. قال الخليل^(٥): ((قال أهل الكوفة: معنى "قطني" كفاني، والنون في موضع النصب مثل نون كفاني، لأنك تقول: "قد عبد الله درهم". و قال أهل البصرة: الصواب فيه خفض على معنى "حسب زيد وكفي زيد"، وهذه النون عماد. ومنعهم أن يقولوا: "حسبي" لأنّ الباء متحرّكة، والطاء هناك ساكنة، فكرهوا تغييرها عن الإسكان، وجعلوا النون الثانية من "الديّ عماداً للياء)).

وقال المرادي^(٦) (ت ٧٤٩ هـ): ((تكون "قد" اسماً بمعنى "حسب"، تقول: "قدني بمعنى حسبي"، والياء المتصلة بها مجرورة الموضع بالإضافة، ويجوز فيها إثبات نون الوقاية وحذفها، والياء في الحالين في موضع جرّ،

(١) شرح الرضي على الكافية ٤٥٣/٢.

(٢) شرح التسهيل ١٠٧/٤ بتصرف يسير، والبيت ل حرّث بن عناب الطائي، وهو في شرح المفصل لابن يعيش ٨/٣ و ٤٥، والدرر اللوامع ٢١٧/٤.

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٢٥/٣، وشرح الرضي على الكافية ٤٥٣/٢، وقيس في الموضوعين غير منصرف للعلمية والتأنيث المعنوي لأنه بمعنى القبيلة.

(٤) كتاب العين ١٤/٥، و انظر اللسان (قطط).

(٥) كتاب العين ١٤/٥، و انظر اللسان (قطط).

(٦) الجني الداني ص ٢٥٣-٢٥٤ بتصرف يسير.

هذا مذهب سيويوه وأكثر البصريين، وإذا كانت اسماً لفعلٍ بمعنى "كفى" فيلزمها نون الوقاية مع ياء المتكلم، كما تلزم مع سائر أسماء الأفعال، والياء المتصلة بها في موضع نصبٍ، وهذا القسم نقله الكوفيون عن العرب)).

ومن خلال ما قاله الخليل و المرادي تبين أنّ الياء في "قطني وقطني" في محلّ نصب عند الكوفيين لأنهم جعلوا "قد وقط" اسماً لفعلٍ بمعنى "كفى" ليس غير، أما البصريون فجعلوا الياء في "قطني وقطني" في محلّ جرّ بالإضافة، لأنّ "قط وقد" جاءت اسماً بمعنى "حسب" أي كافٍ تارةً، وجاءت اسماً لفعلٍ ماضٍ بمعنى "كفى" تارةً أخرى، نحو: "قطني درهم" أي يكفيني درهم، فالياء هنا في موضع نصب مفعول به.

من خلال ما تقدّم نرى أنّ نون الوقاية التي دخلت على "قد و قط"، فقالوا: "قطني وقطني" دخلت على "من وعن" في حال الإضافة، فقالوا: "مّي وعّي" ليسلم الحرف الساكن من الكسر، أولاً ترى أنّ سيويوه قال^(١): ((سألته رحمه الله^(٢) عن قولهم: "عّي وقطني وقطني ومّي ولديّ"، فقلت: ما بالهم جعلوا علامة إضمار الجرور هاهنا كعلامة إضمار المنصوب؟ فقال: إنّه ليس من حرف تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرّكاً مكسوراً، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التي في "قط" ولا النون التي في "من"، فلم يكن لهم بدٌّ من أن يجيئوا بحرف لياء بالإضافة متحرّك، إذ لم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات، لأنها لا تذكر أبداً إلاً وقبلها حرفٌ متحرّكٌ مكسورٌ. وكانت النون أولى لأنّ من كلامهم أن تكون النون والياء علامةً المتكلم، فجاءوا بالنون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضمار، وكرهوا أن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار)).

إذن إذا دخلت ياء الإضافة على حرف لا بدّ أن يكون متحرّكاً بالكسرة، فكرهت العرب تحريك "الذال والطاء والنون" في "قد وقط ومن وعن" ولدن، فلذلك جاءوا بنون الوقاية لأنها تناسب ياء الإضافة، وتحفظ حركة الحرف قبلها.

وقال قائل: إنّ قطني لازيادة فيها، جاءت مثل حسي، قال ابن منظور^(٣) (ت ٧١٢هـ): ((قال بعضهم: "قطني" كلمة موضوعة لا زيادة فيها كـ "حسي" قال الراجز^(٤):

امتلاً الحوضُ وقال قطني حَسْبِي رويداً قد ملأت بطني

(١) الكتاب ٣٧٠/٢-٣٧١، و انظر المحقق لابن سيدة ٦٣/١٤.

(٢) يعني: أستاذه الخليل بن أحمد.

(٣) اللسان (قطط).

(٤) تمّ تخريج البيتين في ص ٤ حاشية ٣.

وإنما دخلت النون ليسلم السكون الذي يبنى الاسم عليه، وهذه النون لا تدخل الأسماء بل تدخل الأفعال، وإنما أدخلوها في أسماء مخصوصة قليلة نحو: "قطني وقطني وعتي ومتي ولدتي" لا يقاس عليها، فلو كانت النون من أصل الكلمة لقالوا: "قطنك" وهذا غير معلوم)).

وما جاء به ابن منظور مخالفٌ لما ذكره ابن بري بقوله^(١): ((عَيِّ وَمَيِّ وَقَطْنِي وَلُدَيِّ" على القياس، لأنّ نون الوقاية تدخل الأفعال لتقيها الجر وتبقي على فتحها، وكذلك هذه التي تقدّمت دخلت عليها النون لتقيها الجر فتبقي على سكونها)). ويبدو مما تقدّم أنّ نون الوقاية تدخل على الأفعال والأسماء والحروف غالباً لتقيها من الكسر تارة، وتبقي على سكونها تارة أخرى.

وإذا جاءت "قد" اسماً شُدِّدَتْ، لأنه لا دليل على ما حُذِفَ منها، قال الجوهري^(٢): ((وإن جعلته اسماً شُدِّدَتْه فقلت: "كُتِبَتْ قَدْماً حَسَنَةً"، وكذلك "كَيِّ وَهَوِّ وَلَوْ"، لأنّ هذه الحروف لا دليل على ما نقص منها، فيجب أن يزداد في أواخرها ما هو من جنسها، وتدغم، إلاّ في الألف فإنّك تهمزها)). لكن لا يجوز التضعيف في الصحيح، بل يقتصر على المعتل، قال ابن بري^(٣): ((إنّما يكون التضعيف في المعتل كقولك في "هو" اسم رجلٍ: "هذا هوّ، وفي لو: هذا لوّ، وفي: "في هذا فيّ"، وأمّا الصحيح فلا يضعّف، فتقول في "قد": "هذا قدّ، ورأيت قدّاً، ومررت بقدّ، كما تقول: هذه يدّ، ورأيت يداً، ومررت بيدّ)).

وما جاء به ابن بري هو الصّواب تبعاً لقول سيبويه^(٤): ((ألا ترى أنّك لو جعلت "في ولو" اسماً ثَقَلَتْ))، أي ضعفت، ولم يقله في الصحيح، وما ورد عند الجوهريّ لعله سهوٌ منه.

أمّا "قط" التي سبق الحديث عنها فهي مثل "حسب"، لكنّها أقلُّ تمكّناً من "حسب"، وإن كانت اسماً فلا تقع في جميع مواقع "حسب"، كما أنّ "لُدُنُّ" أقلُّ تمكّناً من "عند"، قال سيبويه^(٥): ((قطّ" كـ "حسب"، وإن لم تقع في جميع مواقعها، و لو لم يكن اسماً لم تقل: "قطّك درهمان"، فيكون مبنياً عليه، كما أنّ "على" بمنزلة "فوق"، وإن خالفتها في أكثر المواضع، سمعنا من العرب من يقول: "نحضت من عليه"، كما تقول: "نحضت من فوقه". و اعلم أنّهم إنّما قالوا: "حسبُك درهمٌ وقطّك درهمٌ" فأعربوا "حسبُك" لأنّها أشدُّ تمكّناً. ألا ترى أنّها تدخل عليها حروف الجرّ، تقول: "بحسبك"، وتقول: "مررت برجلٍ حسبِك" فتصف به، و"قطّ" لا تتمكّن هذا التمكّن)).

(١) اللسان (قطط).

(٢) الصحاح (قدد) ٢/٥٢٢، و انظر اللسان (قدد).

(٣) انظر اللسان (قدد).

(٤) الكتاب ٤/٢١٨.

(٥) الكتاب ٣/٢٦٨، و انظر اللسان (قطط).

وقال^(١) في موضع آخر: ((وجزمت "لدن" ولم تجعل كـ"عند" لأنها لا تتمكن في الكلام تمكن "عند"، ولا تقع في جميع مواقعه، فجعل بمنزلة "قط" لأنها غير متمكنة)).

ومفاد كلام سيبويه هو أن "حسب" أشد تمكناً في كلام العرب من "قط"، و"عند" أشد تمكناً من "لدن" أيضاً، فجعلت "لدن" بمنزلة "قط" لأنهما غير متمكنتين في الكلام.

وإذا كانت "قط" مفتوحة القاف، ساكنة الطاء، ووقعت في موقع "حسب"، فهي تعني الاكتفاء، قال سيبويه:^(٢) ((قط معناها الاكتفاء)). وإذا كانت "قط" مبنية على الضم كـ"حسب" فهي للزمان والانتها. قال سيبويه^(٣): ((وكذلك "قط" وحسب" إذا أردت ليس إلا، وليس إلا ذا. وذا بمنزلة "قط" إذا أردت الزمان لما كن غير متمكّنات فعل بجرّ ذاء، وحركوا "قط" وحسب" بالضمّة لأهما غايتان، فـ"حسب" للانتها، و"قط" كقولك منذ كنت)).

وظاهر كلام سيبويه من خلال نصوصه السابقة هو أن "عند" أشد تمكناً من "لدن"، ولا تقع الأخيرة مواقعها، و"حسب" مثل "عند"، و"قط" مثل "لدن"، أي "قط" أقل تمكناً من "حسب"، ولا تقع "قط" مواقع "حسب"، و"حسب" في البناء مثل "قط" غير متمكنتين. وإذا جاءت "قط" مشددة فهي لما مضى من الدهر مشبهة بـ"منذ"، وهي في معناها. قال أبو سعيد السيرافي^(٤) (ت ٣٦٨هـ): ((وجزمت "لدن" ولم تجعل كـ"عند"، لأنها لا تقع في جميع مواضع "عند" فضغمت، وذلك أن "عند" اتسعوا فيها فقالوا: "عندي مال" وإن كان يائياً، ولا يقولون ذلك في "لدن" فجعلت بمنزلة "قط" إذا أردت ليس إلا. و"حسب" في البناء مثل "قط" إلا أنهم بنوه على حركة. وإذا أردت "قط" المشددة التي هي لما مضى من الدهر كانت مبنية على الضم لاجتماع الساكنين ومشبهة بـ"منذ"، لأنها في معنى "منذ"، فإذا قلت ما رأيته "قط" فكأنك قلت ما رأيته "منذ كنت"). وزاد ابن خروف^(٥) (ت ٦٠٩هـ) توضيحاً لما قاله سيبويه في هذه المواضع فقال: ((و"عند" أكثر تمكناً في المواضع من "لدن" قاله الفارسي^(٦)، لأنك تقول: "عند الفقهاء وعند المحدثين وعند الخوارج وعند مالك"، ولا تقع "لدن" في أكثر مواضعها. وقوله: "قط" و"حسب"، يريد غير متمكنتين أيضاً وهما محمولان على الكلام الأول، وأشار بقوله: إذا أردت ليس غير إلى "حسب" هذه التي تقرر بـ"قط"، لا

(١) الكتاب ٢٨٦/٣، وانظر اللسان (قطط) بتصرف يسير.

(٢) الكتاب ٢٢٨/٤، وانظر مغني اللبيب ٥٥٠/٢، واللسان (قطط).

(٣) الكتاب ٢٨٦/٣، وانظر الكلبيات ٦٤/٤، واللسان (قطط).

(٤) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ٥٤ - ٥٥.

(٥) شرح كتاب سيبويه المسمى (تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب) لابن خروف ٣٦٨ - ٣٦٩ بتصرف.

(٦) قال أبو علي الفارسي: ((وجزمت لدن ولم تجعل كعند، وحسب وقط يعتمها الانتها إلا أن قط انتها لما مضى وحسب انتها لما يحض الوقت)) التعليقة على كتاب سيبويه

"حسبُك" التي في قولهم: "حسبُك درهمان"، وهي التي تقع في قولهم: "ما فعلتُ غيرَ هذا حسبُ" وهي التي تقع "قد" في مكانها في قوله: ونصفُهُ فَقَدِي^(١).

وهي مبتدأ والخبر محذوف أو خبر ابتداء، وهي بمنزلة "قطُّ" التي للزمان عنده في كونها غيرَ متمكنة ففعل بها ما ذكر و"قطُّ" تُشَدِّد طاءُها وتُخَفِّف مع الضمِّ، وأمَّا "قطُّ" الساكنة فلا تحرك، وصارت "حسبُ" بمنزلة "قطُّ" إذ كانت غايةً في الاكتفاء، وقد قرئها في باب عدّة الكلم ولم يخرجهما من هذا المعنى، قال: و"قطُّ" معناها الاكتفاء، قال: وأمّا "حسب" فمعناه كمعنى "قطُّ"، واعتل لبناء "حسبُ" على الضم من حيث كانت نهايةً فضارع الغاية، ومعناه كمعنى "قطُّ" في الاكتفاء لا معنى الزمان)).

أي: "حسبُ" مبنية على الضم بمنزلة "قطُّ" إذ كانت نهاية في الاكتفاء، فشابهت الغاية التي ينتهي بها كلُّ شيءٍ أي "قطُّ" انتهاء لما مضى، و"حسب" انتهاء لما يخصّ الوقت. وإذا كانت "قطُّ" مشددة مبنية على الضم، فهي تعني ما مضى من الزمان، وهي تشبه "منذ" لأنها في معناها، وإذا قلت: "ما رأيته قطُّ" فكأنك قلت: "ما رأيته منذ كنت" أي: منذ خُلِّقتُ إلى الآن^(٢).

أمّا "بجلُّ" التي تأتي بمعنى "حسبُ" فهي مثل "قطُّ"، و"قطُّ" مثل "قد"، و"قدُّ" مثل "حسبُ"، إذن "قد" مثل "بجلُّ"، وهذه أسماء تأتي بمعنى الاكتفاء، وإن كان ثمة بعض التفاوت بينها كما تقدّم، فقيل: "قد" وقدي وقديني، وقط وقطني وقطني، وبجلُّ وبجلِّي وبجلِّي، وحسب وحسبي، ولا يقولون: "حسبني". قال الجوهري^(٣): ((وبجلُّ بمعنى "حسب"، قال الأخفش: هي ساكنة أبداً، يقولون: "بجلك" كما يقولون "قطك"، ولا يقولون: "بجلني" كما يقولون: "قطني"، ولكن يقولون: "بجلِّي وبجلِّي" أي "حسبي"، قال لبيد^(٤):

فمى أهلك فلا أخفلهُ
بجلي الآن من العيش بجلُّ))

ف "بجلُّ" تأتي ساكنة، ولا يقال بجلني إلا إذا كانت اسماً لفعل بمعنى "يكفي"، وهو غير مطرّد في بابه. قال ابن هشام^(٥) (ت ٧٦١هـ): ((بجلُّ على وجهين: اسم فعل بمعنى "يكفي"، واسم مرادف لـ "حسب"، ويُقال على الأول: "بجلِّي" وهو نادر، وعلى الثاني: "بجلِّي"، قال^(٦):

ألا إنني شربتُ أسودَ حالكا
ألا بجلي من الشرابِ ألا بجلُّ))

وقال غيلان^(١):

(١) هو من قول النابغة الذي تقدم ذكره في ص ٢ حاشية (٦).

(٢) معني اللبيب ٥٥٠/٢ .

(٣) الصحاح (بجل) ١٦٣١/٤، وانظر الكتاب ٢٣٤/٤، و اللسان (بجل).

(٤) تقدم تحريجه في ص ٤ حاشية (٣).

(٥) معني اللبيب ١٨٢-١٨٣، وانظر رصف المبانى ١٥٢، والحنى الداى ٤١٩.

(٦) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ٩٣، وفي رصف المبانى ١٥٢ وفي شرح أبيات معني اللبيب ٣٩٨/٢.

عَجَلْنَا لَنَا هَذَا وَالْحَقْنَا بِذَا الِ الشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلَلْنَا بِجَلِّ

فـ "بجل" في البيتين السابقين بمنزلة "حسب"، أو "حسي"^(٢). وهذا يعني أن "بجل" من جاء بها اسماً لفعلٍ ألزمها نون الوقاية على غير قياس، وإن كان حذفها أولى، قال الرضي^(٣): ((وكذا الحذف في "بجل" أولى من الإثبات وإن كان ساكن الآخر مثل "قد وقط" لكرهية لام ساكنة قبل النون، وتعسر النطق بها)).

ومما تقدم نرى أنّ "حسب" أكثر تمكناً من "بجل"، ((لأنّ كلاهما لا يستعمل استعمال الآخر. أمّا "حسب" فإنّها اسم معرب متصرف يقع مبتدأً وخبراً وحالاً ومجروراً، وتدخل عليها العوامل اللفظية، و"بجل" على خلاف هذا. وأمّا "بجل" فإنّ نون الوقاية تلحقها إذا كانت اسماً لفعلٍ، وليس واجباً بل جائزاً، وهذه النون لا تلحق "حسب" حتى في الندرة. قال الرضي^(٤) في باب المضمّر: يجوز إلحاق نون الوقاية في أسماء الأفعال لأدائها معنى الفعل، ويجوز تركها أيضاً لأنّها ليست أفعالاً في الأصل، حكى يونس^(٥): "عليكني"، وحكى الفراء^(٦): "مكانكني"، و حكى سيبويه^(٧) في أسماء الأفعال: "عليكني وعليكي" وقد نصّ ابن مالك^(٨) في شرح التسهيل على جواز إلحاق النون في اسم الفعل مطلقاً^(٩).

إذن ((بجلي أشهر من بجلي، كما أنّ لعلّي أعرف من لعلني، ومن قال: "بجلي وقدي وقطي" بلا نون شبّهها بـ "حسب"، إلا أنّ "بجل" أشبه به لأنّه ثلاثي مثله، ولمساواته في اشتقاق فعل منه، إذ قيل: "أبجله وأحسبه" بمعنى "كفاه" فلذلك فاق عدم النون مع "بجل" ثبوتها بخلاف "قد وقط" فهما بنون الوقاية أشهر))^(١٠).

أمّا "حسب" فهي بمعنى الاكتفاء، قال سيبويه^(١١): ((وأمّا حسب فمعناها الاكتفاء)). ويقال: حسبك درهمٌ أي كفأك، ويقال: أحسبني ما أعطاني: أي كفاني قالت امرأة من بني قشير^(١٢):

(١) البيت لغيلان بن حريث الربيعي نسبة إليه صاحب الدرر اللوامع ٢٤٥/١، والبيت في الكتاب ١٤٧/٤، وفي الخصائص ٢٩١/١، وفي رصف المباني ٤١، ١٥٣، وقوله مَلَلْنَا بكسر اللام الأولى من الملائكة.

(٢) انظر الكتاب ٤ / ٢٣٤، والجمهرة ١ / ٢٦٩، وأساس البلاغة واللسان والتاج (بجل).

(٣) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٥٤.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٥٤.

(٥) انظر الكتاب ٢ / ٣٦١، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٥٤.

(٦) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٥٤.

(٧) الكتاب ٢ / ٣٦١.

(٨) شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٣٤-١٣٥ و١٣٨.

(٩) انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٤٠١-٤٠٢. بتصرف.

(١٠) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٣٧ بتصرف.

(١١) الكتاب ٣ / ٤٧٩، و انظر اللسان (حسب).

(١٢) انظر اللسان (حسب). وتقفيه أي نؤثره بالقفية، وهي ما يؤثر به الضيف و الصبي.

وَنُقْفِي وَوَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ

أي: نعطيهِ حتى يقول حسي.

ومن خلال ما تقدّم رأينا أنّ "قد" الاسمية تدلّ على معنى "قطّ وبجّل وحسب" وكلّها تعني الاكتفاء والاحتساب. وتستعمل "قدّ وقطّ وبجّل" استعمال "حسب" إذا كانت أسماء. وتستعمل "قدّ وقدي وقديني، وقطّ وقطني وقطني، وبجّل وبجّلي وبجّلي وحسب وحسي" استعمالاً واحداً في حال اسميّتها، مع بعض التفاوت في الاستعمال بسبب تمكّن بعضها وضعف بعضها الآخر.

وبعد أن تحدّثنا عن "قد" الاسميّة التي ترادف "حسب". لا بدّ أن نقف على "قد" الاسميّة التي تأتي اسماً لفعلٍ ماضٍ بمعنى "كفى".

- "قد" الاسميّة التي تأتي اسماً لفعلٍ ماضٍ بمعنى كفى:

"قد" الاسميّة تأتي اسماً لفعلٍ ماضٍ بمعنى "كفى"، فترفع فاعلاً وتنصب مفعولاً به، وتستعمل استعمال أسماء الأفعال، ولا يظهر معها الضمير، أي: ضمير الفاعل كـ "ألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة وياء المخاطبة"، قال ابن مالك^(١): ((قدّ اسم فعلٍ ماضٍ بمعنى كفى، تستعمل استعمال أسماء الأفعال، فيتّمّ بها الكلام مع الفاعل، ولا يبرز معها ضميره وتنصب المفعول، كقولك: "قدّ زيداً درهماً، والدرهماً قدّ زيداً" ولا يجوز "قداً" كما يجوز "كفياً" لأنّ "قدّ" اسم فعل)).

فـ "قد" الاسميّة التي تستعمل بمعنى "كفى" أقلّ تمكّناً من "كفى" أي: من الفعل، لأنّها فرغٌ محمولٌ على أصلٍ إذ هذا شأن أسماء الأفعال، فلا يقال: "قداً وقداً وقدي" بألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة وياء المخاطبة، كما يقال: في "كفى: كفياً وكفّوا وكفّين وكفّني".

وإذا كانت "قد" اسماً لفعلٍ بمعنى "كفى" فيلزمها نون الوقاية مع ياء المتكلم، قال المرادي^(٢): ((إذا كانت "قد" اسم فعلٍ بمعنى "كفى" فيلزمها نون الوقاية مع ياء المتكلم، كما تلزم مع سائر أسماء الأفعال، والياء المتصلة في موضع نصب)).

ويبدو أنّ "قد" التي تأتي بمعنى "كفى" يكون المفعول به معها تارةً اسماً ظاهراً، نحو: "قدّ خالداً درهماً"، وتارةً ضميراً متصلاً للمتكلّم أو المخاطب أو الغائب، نحو: "قدّني درهماً وقدّك درهماً وقدّه دراهم معدودات". قال ابن هشام^(٣): ((وقد المستعملة اسم فعلٍ مرادفة لـ "يكفي"، يقال: "قدّ زيداً درهماً، وقدّني درهماً"، كما

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ١٠٦. بتصرف يسير .

(٢) الجني الداني ص ٢٥٤ بتصرف يسير .

(٣) معني اللبيب ٢/ ٥٢٦ بتصرف يسير .

يقال: "يكفي زيداً درهم ويكفيني درهم". أي: يمكن القول: "يكفي محمداً ويكفيني ويكفيك" ويكفيها ويكفيها ويكفيكم درهماً".

وتأتي "قد" اسماً لفعلٍ بمعنى "كفى أو يكفى أو ليكف". قال ابن عقيل^(١) (ت ٧٦٩ هـ): (("قد" اسم فعلٍ تعامل معاملة أسماء الأفعال من تحمّل الضمير ، ولزوم نون الوقاية مع ياء المتكلم ، نحو: "قدني" ، وحكى الكوفيون: "قد عبد الله درهم" بنصب "عبد الله" ، وعلى هذا يكون معناها: "كفى أو يكفي" ، وقيل: "ليكف عبد الله" ، وهذا لا يكون تفسيراً لما ناب الاسم عنه)). أي إذا كانت "قد" اسماً بمعنى "حسب" كقولك: "قد عبد الله درهم" أي: "حسب عبد الله درهم" ، أو "قدني درهم" ، فالياء في محلّ جرٍّ بالإضافة ، وكذلك "عبد الله" ، وهذا هو مذهب البصريين ، وقد خالفهم الكوفيون كما تقدّم. وقال الكفوي^(٢): ((وقد اسم فعلٍ مرادفٌ لـ "يكفي" نحو: "قدني درهم" ، وقد زيداً درهم" أي: "يكفي زيداً درهم"). إذن "قد" اسماً مرادفٌ لـ "كفى أو يكفي أو ليكف" وكلها سواء.

وبعد أن تحدّثنا عن "قد" الاسمية والفعلية لأبد من الحديث عنها حرفاً صرفاً.

ثانياً: "قد" حرفاً دلالاتها واستعمالاتها:

بعدما وقفنا سابقاً على "قد" الاسمية والفعلية وتناولنا ضروب دلالاتها واستعمالاتها ، لابد لنا من الوقف عليها حرفاً محضاً وعلام يدل وكيف يستعمل؟.

• دلالاتها:

إذا كان "قد" حرفاً فهو كلمة لا يفهم معناها إلا بضمّ غيرها إليها ، قال الفاكهي^(٣) (ت ٩٧٢ هـ) في حدّ الحرف: ((هو كلمة دلّت على معنى دخل مع المحدود قسيماً ، ثم خرج الفعل وبعض الأسماء بقولهم في غيرها ، أي بسبب انضمام غيرها إليها من اسم كـ "مررت بزيد" ، أو فعل كـ "قدما" ، أو جملة كحروف النفي والاستفهام والشرط ، فالحرف مشروط في دلالاته على معناه الذي وضع له)). إذن "الحرف كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدلّ على أنّ في الشيء فائدة ، فإن أفرده عنه بقي غير دالٍ على معنى أصلاً"^(٤).

فـ"قد" الحرفية تعدّ من الحروف الهوامل المختصّة بالأفعال^(٥) ، قال سيبويه^(٦): (("قد" من الحروف التي لا يليها بعدها إلا الفعل)) الذي يشترط فيه التصرف والإخبار والإثبات والتجرد من النواصب والجوازم وحرف

(١) المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ٢٠٧/٣ بتصرف يسير.

(٢) الكليات ٦٢-٦١/٤ بتصرف يسير.

(٣) شرح الحدود النحوية ص ٢١٧.

(٤) انظر شرح الرضي على الكافية ٣٧/١.

(٥) انظر معاني الحروف للرماني ص ٩٨.

(٦) الكتاب ١١٤/٣ بتصرف يسير.

التنفيس، قال ابن هشام^(١) (ت ٧٦١هـ): (("قد" الحرفية مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحر ف تنفيس)). أي: "قد" حرفاً "تدخل"^(٢) على الفعل الماضي بشرط أن يكون متصرفاً ، وعلى المضارع بشرط تجرّده من جازم وناصب وحر ف تنفيس".

إذن "قد" حرفاً لا يفهم معناه إلا مع غيره، ولا يدخل إلا على الأفعال.

قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ)^(٣): ((قد مخففة حرف لا يدخل إلا على الأفعال)). أي: إذا كانت "قد" حرفاً فلا تدخل على الأسماء والحروف، لأنها مختصة بالأفعال، قال ابن يعيش^(٤) (ت ٦٤٣هـ): ((ولا يحسن إيلاء الاسم إيّاه، وهو في ذلك ك"السين وسوف")). أي: لا يأتي بعده اسم، وهو ك"السين وسوف" الذي لا يأتي بعدهما إلا الفعل. لذلك صارت "قد" جزءاً من الفعل لا تعمل فيه، لأنها أصلاً من الحروف الهوامل.

قال الرماني^(٥) (ت ٣٨٤هـ): ((وإنما لم تعمل فيه لأنها صارت كأحد أجزائه)). وموضع هذه الحروف من الفعل موضع الألف واللام من الاسم. قال ابن يعيش^(٦) (ت ٦٤٣هـ): ((ومنزلة هذه الحروف من الفعل منزلة الألف واللام من الاسم، لأنّ "السين وسوف" يقصران الفعل على زمان دون زمان، وهي بمنزلة "الألف واللام" التي للتعريف، و"قد" توجب أن يكون الفعل متوقّفاً، وهو يشبه التعريف أيضاً)). إذ لا يفصل بين "قد" والفعل فاصل ك"الألف واللام" التي للتعريف. قال سيويوه^(٧): (("قد" لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره)). لكنّ النحويين اختلفوا في هذا الفصل بين "قد" والفعل، فمنهم من جوّزه بالقسم الذي لا يأتي بمعنى زائد وإنّما يأتي لتوكيد معنى الجملة على خلاف "السين وسوف". قال ابن يعيش^(٨): ((إنّ "قد" اتسعت العرب فيها لأنها لتوقع فعل، وهي منفصلة مما بعدها، فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم لأنّ القسم لا يفيد معنى زائداً، وإنّما هو لتوكيد معنى الجملة فكان كأحد حروفها)). وبهذا تبين أنّ "قد" تمتاز على سائر الحروف الهوامل بميزة الفصل بينها وبين الفعل، لكنّ هذا الفصل مشروط بالقسم الذي لا يحقق معنى زائداً، وإنّما هو لتوكيد معنى الجملة ، لذلك صار كأحد حروف هذه الجملة . قال الشاعر^(٩) :

(١) مغني اللبيب ٢ / ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٢) انظر الجني الداني ص ٢٥٤ .

(٣) الصحاح (قد) ٢ / ٥٢٢ .

(٤) شرح المفصل ٨ / ١٤٨ .

(٥) معاني الحروف ٩٨ ، وانظر مغني اللبيب ٢ / ٥٢٩ .

(٦) شرح المفصل ٨ / ١٤٨ .

(٧) الكتاب ٣ / ١١٤ .

(٨) شرح المفصل ٨ / ١٤٨ .

(٩) قائله أحمّ ليزيد بن عبدالله الجعفي موجهاً بهذه الأبيات إلى خالد بن عبدالله القسريّ ، وكان خالد والياً على العراق من قبل هشام بن عبد الملك ، وكان خالد أمر بقطع يد يزيد، فلما قرأ الأبيات علم صدق قوله ، وعفا عنه انظر مغني اللبيب ٢ / ٥٢٩ الحاشية "٤" والبيت في الجني الداني ص ٢٦٠ ، وفي شرح التسهيل ٤ / ١٠٨ ، وفي مغني اللبيب ٢ / ٥٢٩ ، مع خلاف في عجزه ، وشرح أبيات المغني ٤ / ٨٧ . و أوطأت عشوة: أحررت بالباطل .

أخالدُ قد والله أوطأت عَشْوَةً وما العاشقُ المظلومُ فينا بسارقٍ

فالشاعر فصل بين "قد" والفعل "أوطأت" بجملة القسم، وهو جائز في كلام العرب، كما قال الزمخشري^(١) وابن يعيش وغيرهما^(٢).
"وقول الآخر^(٣):"

لقد أرسلوني في الكواعب راعياً فقد وأبي راعي الكواعب أفرسُ

أراد: فقد أفرس راعي الكواعب وحقّ أبي، ويجوز أن يكون أضاف الأب إلى راعي وهو يعني نفسه^(٤).
كذلك فصل الشاعر بين "قد" والفعل "أفرس" بجملة القسم. ومن النحويين من أنكر هذا الفصل وعدّه قبيحاً لشدة اتصال "قد" بما تدخل عليه من الأفعال.
كقول الشاعر^(٥) :

فقد والله بين لي عنائي بوشك فراقهم صردٌ يصيحُ

أراد الشاعر: فقد بين فصل بين "قد" والفعل "بين" بجملة القسم.
قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ)^(٦): ((هذا قبيحٌ لقوة اتصال "قد" بما تدخل عليه من الأفعال ، ألا تراها تُعتدُّ مع الفعل كالجزم منه . ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على "قد" في نحو قوله تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾ [سورة الزمر الآية ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ [سورة البقرة الآية ١٠٢] فالفصل قبيح في نظر ابن جني. ومن النحويين من كان أقلّ تشدداً في هذه المسألة، إذ جوز الفصل بين "قد" والفعل لضرورة شعرية، قال المالقي^(٧) (ت ٧٠٢هـ): ((وهي مع الفعل مختصةً به، لازمة له ،تقوم مقام الجزء، فلأجل ذلك لا يجوز الفصل بينها وبينه إلا في الضرورة، كقوله^(٨):

فقد والله بين لي عنائي بوشك فراقهم صردٌ يصيحُ

(١) المفصل ص ٣١٧.

(٢) أمثال الخوارزمي في التحمير ١٣٣/٤ ، والمالقي في رصف المباني ص ٣٩٢ ، والمرادي في الجنى الداني ص ٢٦٠ ، وابن هشام في معني اللبيب ٥٢٩ / ٢ .

(٣) البيت في شرح التسهيل لابن مالك ١٠٨ / ٤ ، وشرح أبيات معني اللبيب ٨٧/٤ ، واللسان (فرس) . وقُرِسُ الرجال النساء هنا هو مواصَلَتُهُنَّ . وقوله: و"أبي" خفض بواو القسم ، وقوله: "راعي الكواعب" يكون حالاً من التاء المقدّرة ، كأنه قال: فرست راعياً للكواعب: أي وأنا إذ ذاك كذلك . و "أفرس" موضوع موضع "فرست" ، كأنه قال: فقد فرست ، قال سيبويه: "قد يضعون أفعال موضع فَعَلْتُ " . انظر اللسان (فرس) .

(٤) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٠٨ / ٤ .

(٥) البيت في الخصائص ٣٣٠ / ١ و ٢٣٩ / ٢ ، ومعني اللبيب ٥٣٠ / ٢ ، وشرح أبيات المعني ٨٩ / ٤ . والسرود: طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود له بُرْتُنٌ عظيم . طويل المنقار . كان من عادة العرب في الجاهلية التشاؤم بصوته وبصوت غيره من الغربان . انظر اللسان (سرود) .

(٦) الخصائص ٢ / ٢٣٩١ .

(٧) رصف المباني ص ٣٩٣ .

(٨) تقدم تخريجه في ص ١٦ .

ومنهم من عدَّ الفصلَ حسناً بين "قد" والفعل، ولم يعدّه كذلك في الألف واللام التي تدخل على الاسم، والسين وسوف التي تدخل على الفعل بسبب توسعهم في "قد".

قال الخوارزمي (ت ٦١٧ هـ):^(١) ((إِنَّمَا حَسُنَ الْفَصْلُ بَيْنَ "قَدْ" وَالْفِعْلِ، وَلَمْ يَحْسُنْ فِي الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَسَوْفَ وَالسَّيْنِ، لِأَنَّهُمْ إِذَا تَوَسَّعُوا فِي "قَدْ" بِإِفْرَادِهَا وَطَرَحَ مَا بَعْدَهَا لِدَلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهَا فَلَأَنَّ تَوَسَّعُوا فِيهَا بِالْفَصْلِ أُولَى)). أي: إذا توسَّعتِ العرب بترك الفعل بعد "قد" لأنَّ ثمة دليلاً على الفعل الذي تقدّم عليها، فكان الأولى الفصل بينها وبين الفعل.

من خلال ما تقدّم تبين من منع الفصل بين "قد" والفعل كـ "سيويه"^(٢) إذ قال: ((ولو قلت: سوف زيداً أضربُ لم يحسنُ، أو قد زيداً لقيتُ لم يحسنُ لأثما وإنما وضعت للأفعال)). ومن عدّه قبيحاً كـ "ابن جني"، وابن عقيل^(٣) بقوله: ((فلا يقال: قد زيداً ضربت، ولا قد زيداً أضرب، كما لا يفصل بين "أل" وما دخلت عليه، ولذلك جعل سيويه: قد زيداً رأيتُ، من المستقيم القبيح، أي: المستقيم معنى الممنوع تركيباً، لأنك وضعت اللفظ في غير موضعه)). ومن عدّه حسناً كـ "الخوارزمي"، ومن عدّه ضرورةً شعريّةً كـ "المالقي"، ومن جوّزه لأنّ العرب اتّسعت به ففصلت بين "قد" والفعل "بالقسم كـ"ابن يعيش والرضي"^(٤) والمرادي وابن الحاجب^(٥) وابن هشام وغيرهم". ويبدو أنّ الفصل بين "قد" والفعل ليس مقصوداً على الشعر، لأنّ ثمة شواهد يعتدُّ بها في الحديث النبوي الشريف، إذ جاء في حديث رسول الله ﷺ قوله^(٦): ((... يانبيّ الله قد والله أوفى الله ذمتك))، وقوله^(٧) أيضاً: ((... قد والله راودت بني إسرائيل)). و في قصّة أصحاب الأخدود قوله^(٨): ((.. فقيل للملك: قد والله نزل بك حذرنا قد آمن الناس)). وجاء في كلام أبي بكر الصديق "رضي الله عنه"^(٩): ((قد والله مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)).

وقال الزمخشري^(١٠) (ت ٥٣٨ هـ): ((ويجوز الفصل بينه وبين الفعل بالقسم كقولك: قد والله أحسنت، وقد لعمرى بثّ ساهراً)).

(١) التخمير للخوارزمي ٤/٤ ١٣ بتصرف يسير.

(٢) الكتاب ٩٨/١.

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٣/٢١٠.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٤٥.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ٢/٢٣٧.

(٦) انظر صحيح البخاري ٢/٩٧٩.

(٧) انظر صحيح البخاري ٦/٢٧٣٦.

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٨٩.

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٣، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/٢٩٧.

(١٠) المفصل ٣١٧، وانظر التخمير ٤/١٣٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/١٤٨، والإقليد للجندي ٤/١٨١٣.

تبيّن من خلال ما تقدّم أنّ الفصل بين "قد" والفعل بالقسم جوّزته العرب في الشعر والنثر معاً إذ اتّسعت به في كلامها.

وجوّزوا ترك الفعل بعد "قد" إذا دلّ عليه دليل، قال الزمخشري^(١): ((ويجوز ترك الفعل بعدها إذا فهم كقوله^(٢)):

أَفَدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَبْنَا لَمَّا تَزَلُّ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدًا)) .

أي: كأن قد زالت لقرب وقت زوالها ودنوّه، فحذف الجملة.

وبعدما وقفنا على دلالات "قد" حرفاً، لا بدّ من الوقوف على استعمالاتها.

• استعمالاتها :

تستعمل "قد" حرفاً في سبعة معانٍ:

١- التوقع: تستعمل "قد" حرفاً للتّوقّع، إذ قال الخليل^(٣) (ت ١٧٥هـ): ((وأما "قد" فحرف يوجب الشيء، كقولك: "قد كان كذا"، والخبر أن تقول: "كان كذا وكذا" فأُدخِل "قد" تأكيداً لتصديق ذلك)). وقال سيبويه^(٤) (ت ١٨٠هـ): ((وأما "قد" فجواب لقوله: "لما يفعل". وزعم الخليل أنّ هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، وهو جواب لقوله: "أفعل" كما كانت "ما فعل" جواباً لـ "هل فعل"؟ إذا أخبرت أنّه لم يقع. و"لما يفعل")).

فـ"قد" حرفاً جواباً لقولك: "لما يفعل" أي أنّ "قد" وما دخلت عليه هي جواب لقوم ينتظرون خبراً. تقول: "هل أتى القاضي"، فيجيب المسؤول: "لما يأت"، وعندما يصل القاضي، يقول: "قد أتى القاضي". وقال المبرّد^(٥) (ت ٢٨٥هـ): ((وتكون "قد" حرفاً جاء لمعنى، فإذا كانت كذلك فلها موضعان من الكلام: أحدهما: أن تكون لقوم يتوقّعون الخبر، نحو قولك: "هل جاء زيد" فيقول لك: "قد جاء"، وتقول: "لما يأت" فيقول لك: "قد أتى"). أي: تقول: "قد مات فلان"، ولو أخبره وهو لا ينتظره لم يقل: "قد مات فلان"، ولكن يقول: "مات فلان". وقال ابن فارس^(٦) (ت ٣٩٥هـ): ((قد" جواب لمُتوقَّع وهي نقيض "ما" التي للنفى،

^(١) المفصل ٣١٧، وانظر التخمير ١٣٤/٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٨/٨، والإقليد في شرح المفصل ١٨١٤/٤، والجنى الداني ص ٢٦٠، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢١١/٣.

^(٢) البيت للناطقة الذبياني انظر ديوانه ص ٨٩ والمفصل ٣١٧، وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٨/٨، والإقليد في شرح المفصل ١٨١٤/٤، والجنى الداني ص ٢٦٠، والتخمير ١٣٤/٤، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢١١/٣. و"أفد الترحل: أي دنا الرحيل وقرب.

^(٣) العين ١٦/٥، وانظر تهذيب اللغة ٨ / ٢٦٧ و الصّحاح (قدد) ٥٢٢/٢ و اللسان و التاج (قدد).

^(٤) الكتاب ١١٣/٣-١١٤ و ٢٢٣/٤-٢٢٤.

^(٥) المقتضب ١٨٠/١.

^(٦) الصّاحي ٢٤٠. وانظر تفسير الكشاف للزمخشري ٦١/٢.

وليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع ، وقوله عزّ وجلّ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ [سورة المؤمنون/١] على المعنى لأنّ القوم توقّعوا علم حالهم عند الله تبارك اسمه، فقيل لهم ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ والحقيقة ما ذكرناه)).

وقال الهروي^(١) (ت ٤١٥هـ): ((تكون جواباً لتوقع فعلٍ، كقوم يتوقعون جلوس القاضي، فيقول القائل: "قد جلس" أو يتوقعون قيامه، فيقول القائل: "قد قام" أي: كان ما كنت تتوقعه. وإذا كان المخبر مبتدأً، قال: "فعل كذا وكذا"، ولا يقول: "قد فعل").

وقال الرمحشري^(٢) (ت ٥٣٨هـ): ((ومنه قول المؤذن: "قد قامت الصلاة" لا بدّ فيه من معنى التوقع)).

وقال الدينوري^(٣) (من القرن الخامس الهجري): ((ومنها حرف للتوقع، وهو "قد"، ولهذا قال بعض النحويين: إنّه حرف موضوع لوقوع ما كان متوقّعا)).

وقال الخوارزمي^(٤) (ت ٦١٧هـ): ((ومن معاني "قد" الإخبار عن فعل متوقع في الحال ومسؤول عنه، كقولك: "قد ركب الأمير، وقد جاء زيدٌ لمن يقدر أنه يتوقع ذلك)).

وقال الرضي^(٥) (ت ٦٨٨هـ): ((كما تقول لمن يتوقع ركوب الأمير: "قد ركب الأمير" أي حصل عن قريب ما كنت تتوقعه، ومنه قول المؤذن: "قد قامت الصلاة").

وقال المالقي^(٦) (٧٠٢هـ): ((وتكون مع المضارع حرف توقع تارة وهو الكثير فيها كقولك: "قد يقوم زيد"، في تقدير جواب من قال: "هل يقوم زيدٌ أو لا يقوم"، فإذا قلت في تقدير الجواب: "قد يقوم"، أدخلت الاحتمال وتوقّعت الوجود، وإن نفيت فقلت: "قد لا يقوم" نفيت العدم)).

أولاً ترى أنّ المالقي لم يذكر "قد" مع الفعل الماضي، لكنّه لم ينفِ بجيئها للتوقع معه لأنّه قال: وتكون مع المضارع حرف توقع تارة وهو الكثير فيها.

وقال المرادي^(٧) (ت ٧٤٩هـ): ((قد ترد للدلالة على التوقع مع الماضي والمضارع، وذلك مع المضارع واضح، نحو: "قد يخرج زيدٌ". ف"قد" هنا تدل على أنّ الخروج متوقع، أي: منتظرٌ. وأمّا مع الماضي فتدلّ على أنّه كان متوقّعا منتظراً، ولذلك يستعمل في الأشياء المترقّبة)).

(١) الأزهية في علم الحروف ٢١١-٢١٣ .

(٢) المفصل ص ٣١٦، و انظر الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٢ / ٢٣٧ .

(٣) ثمار الصناعة في علم العربية ص ١٨١، و انظر كشف المشكل في النحو ١ / ٢٢٤ .

(٤) التخمير ٤ / ١٣٣، و انظر الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٢٣٧، و شرح المفصل لابن يعيش ٨ / ١٤٧، والإقليد في شرح المفصل ٤ / ١٨١١ .

(٥) شرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٤٤ .

(٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني ٣٩٢-٣٩٣ .

(٧) الجني الداني ٢٥٤ .

وقال ابن هشام^(١) (ت ٧٦١هـ): ((وذلك مع المضارع واضح، كقولك: "قد يقدم الغائب اليوم" إذ كنت تتوقع قدومه. وأما مع الماضي فأثبتته الأكثرون، قال الخليل: "يقال قد فعل" لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤدّن: "قد قامت الصلاة" لأنّ الجماعة منتظرون لذلك. وفي التنزيل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة/ ١]، لأنها كانت تتوقّع إجابة الله لدعائها)). وأنكر بعض النحويين التوقّع مع الماضي، لأنّ التوقّع انتظار الوقوع، والماضي قد وقع^(٢).

قال أبو حيّان^(٣) (ت ٧٤٥هـ): ((لا يتحقق التوقّع في "قد" مع دخوله على الماضي، لأنّه لا يُتوقّع إلا المنتظر، وهذا قد وقع والذي تلقّناه من أفواه الشيوخ في الأندلس أنّها حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي، وحرّفت توقّع إذا دخلت على المستقبل)). إذ خالف أبو حيّان قول ابن مالك^(٤): ((وتكون حرفاً فتدخل على فعلٍ ماضٍ متوقّع، أي: منتظرٍ، لتقريبه من الحال)).

وقال ابن عقيل^(٥) (٧٦٩هـ): ((وتكون حرفاً، فتدخل على ماضٍ متوقّع نحو: "قد قامت الصلاة"، فقامت فعل متوقّع)).

وقال الكفوي^(٦) (ت ١٠٩٤هـ): ((قد تثبت المتوقّع، كما أنّ "لما" تنفيه نحو: قد يقدم الغائب اليوم)). من خلال ما تقدّم من أقوال النحويين على "قد" حرفاً للتوقّع. قال جلّه: إنّها تأتي للتوقّع مع الماضي والمضارع معاً. وإنّ خالف بعضهم الجمهور، وقصر التوقّع مع "قد" على الفعل المضارع، كأبي حيّان الأندلسي.

وظهر لابن هشام^(٧) ((رأي ثالث في أنّ "قد" حرفاً لا يفيد التوقّع أصلاً لامع الماضي ولا مع المضارع، أمّا مع المضارع فلا أنّه يفيد التوقّع من دون "قد" نحو: "يقدم الغائب" إذ الظاهر من حال المخبر عن مستقبل أنّه متوقّع له. وأمّا مع الماضي فلا أنّه لو صحّ إثبات التوقّع لها بمعنى أنّها تدخل على ما هو متوقّع لصحّ أن يقال: "لا رجل" بالفتح إنّ "لا" للاستفهام، لأنّها لا تدخل إلاّ جواباً لمن قال: "هل من رجل"، ونحوه، فالذي بعد "لا" مُسْتَفْهَمٌ عنه من جهة شخصٍ آخر، كما أنّ الماضي بعد "قد" متوقّع كذلك، قال ابن مالك: "إنّها تدخل على ماضٍ متوقّع ولم يقل إنّها تفيد التوقّع، ولم يتعرّض للتوقّع في "قد" الداخلة على المضارع البتّة، وهذا هو الحقُّ)).

(١) مغني اللبيب ٢ / ٥٣١ - ٥٣٢.

(٢) انظر مغني اللبيب ٢ / ٥٣٢.

(٣) الجنى الداني ٢٥٥، و انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٣ / ٢٠٩، و همع الهوامع ٤ / ٣٧٨.

(٤) التسهيل ٢٤٢، و انظر شرحه لابن مالك ٤ / ١٠٦، ١٠٨.

(٥) المساعد على تسهيل الفوائد ٣ / ٢٠٩.

(٦) الكلّيات ٤ / ٦١.

(٧) انظر مغني اللبيب ٢ / ٥٣٣ - ٥٣٤، و شرح التسهيل لابن مالك ٤ / ١٠٦ بتصرف.

فالمعنى الأول لـ "قد" الحرفية فهو "التوقع"، وأما الثاني فهو التقريب.

٢. التقريب: تستعمل "قد" حرفاً لتقريب الماضي من الحال إذا دخلت عليه كقولك: "زرْتُك وقد جاء أخوك" أي: صار مجيء الأخ في حال الزيارة، أي: في وقتها. قال الرماني^(١): ((وإذا دخلت على الماضي قرَّبته من الحال، وذلك قولك: "قد جاء"، ولهذا حسن أن يقع الماضي في موضع الحال، تقول: "رأيتك وقد قام زيد" أي: في هذا الحال. وقد تحذف وهي منويّة، فمن ذلك قوله: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكُمُ الْأَرْدَلُونَ﴾ [سورة الشعراء / ١١١] أي: وقد اتبعك، وكذلك قوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [سورة النساء / ٩٠] أي: قد حصرت، وتضم مع الماضي أيضاً إذا وقع خبراً لكان كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ ذُبُرٍ﴾ [سورة يوسف / ٢٧] أي: قد قُدَّ، ومن ذلك قول النابغة الذبياني^(٢):

أَمَسْتُ خَلَاءً وَأَمَسَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيَّ لُبْدُ

أي: قد احتملوا)). فدخول "قد" على الماضي يُقرِّبه من الماضي المجهول إلى الزمن الحالي، وإذا حذف "قد" من الكلام فهي منويّة كما جاء في الآيات السابقة، وهذا رأي الجمهور من البصريين^(٣). وقال الزنجشيري^(٤): ((قد" تقرب الماضي من الحال، إذا قلت: "قد فعل"). أمّا إذا قلت: "فعل"، فلم يعلم السامع زمن الفعل أكان قريباً أم بعيداً.

وقال الخوارزمي^(٥): ((الأصل في "قد" تقريب الماضي من الحال في الإخبار، كقولك: "رأيت زيدا قد عزم على الخروج" أي عازماً عليه، وكذلك: "كنت أتمنى لقاء زيد وقد لقيته" أي: فيما قرب من الحال)). أي: إذا أردت أن تحبر عن عمل أو فعل كان في الزمن الماضي قرَّبته من الحال بـ "قد" نحو: "رأيت عمراً قد عزم على السفر" أي عازماً على السفر الآن. وقال ابن يعيش^(٦): ((قد حرف معناه التقريب، وذلك أنك تقول: "قام زيد" فتحبر بقيامه فيما مضى من الزمن، إلا أنّ ذلك الزمان قد يكون بعيداً وقد يكون قريباً من الزمان الذي أنت فيه، فإذا قرَّبته بـ "قد" فقد قرَّبته مما أنت فيه، ولذلك قال المؤدّن: "قد قامت الصلاة" أي: قد حان وقتها في هذا الزمان، ولذلك يحسن وقوع الماضي بموضع الحال)).

(١) معاني الحروف للرماني ص ٩٨-٩٩ بتصرف يسير، وانظر حروف المعاني للزجاجي ص ١٣.

(٢) ديوانه ص ١٦ وانظر معاني الحروف للرماني ص ٩٩. أخنى: أفسده الدهر، ولبد: من نسور لقمان الحكيم.

(٣) أجمع البصريون على أنه لا يجوز أن يقع الماضي حالاً إلا إذا كانت معه قد ظاهرة أو مقدرة، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف / ١ / ٢٥٢، ومعاني القرآن للفراء / ١ / ٢٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٢ / ٦٦-٦٧، ومغني اللبيب ٢ / ٥٣٦-٥٣٧.

(٤) المفصل ص ٣١٦.

(٥) التخمير ٤ / ١٣٣.

(٦) شرح المفصل ٨ / ١٤٧.

ومفاد قول الزمخشريّ أن "قد" تقرّب الماضي البعيد أو القريب إلى الحال الذي أنت فيه. وقال ابن الحاجب^(١) (ت ٦٤٦هـ): ((فأما معنى التقريب فيه فهو أنك إذا قلت: "قد قام زيد" كان دالاً على أن قيامه قريبٌ من إخبارك، بخلاف قولك: "قام زيد" فإنه ليس فيه هذه الدلالة، فثبت أنها مستفادة من: "قد"، ومن ثمّ اشترطت في الماضي إذا وقع حالاً لفظاً أو تقديرًا كقولك: "جاء زيدٌ وقد ضرب غلامه"، ولو قلت: "جاء زيدٌ وضرب غلامه" من غير تقدير "قد" لم يجز لأنّ الماضي لا يصلح أن يكون حالاً لتضادهما في المعنى)).

إذن وضّح ابن الحاجب قدر استفادة الماضي من "قد" التي قرّنته من حال الإخبار، شريطة أن يقع الماضي حالاً لفظاً أو تقديرًا، نحو: "قام عمروٌ وقد ضرب خادمه" فجملة "ضرب" في محل نصب على الحال الذي وقع زمن قيام عمرو. وإذا قلت: "قام عمروٌ وضرب خادمه" فلا بدّ من تقدير "قد" مع "ضرب" حتى تكون الجملة حالاً، ويقترّب زمنها من زمن قيام عمرو، وإلاّ كان الماضي من دون "قد" فاسداً من حيث المعنى، في هذه المسألة برأي ابن الحاجب، إذ قال قوم من النحويين^(٢): لا حاجة إلى تقديرها وهو الأظهر.

وقال الجندي^(٣): ((قد لتقريب الماضي من الحال في الإخبار، نحو: "لقيتهُ قد ضحك" أي: ضاحكاً)). وقال ابن مالك^(٤): ((قد" تكون حرف تقريب فتدخل على فعل ماضٍ متصرفٍ، أي منتظر، لتقريبه من الحال)). أي: فعل ماضٍ غير جامدٍ، ولا يجوز "قد" مع^(٥) "ليس وعسى ونعم وبئس" الجامدات لأنّهنّ للحال، ولا معنى لذكر ما هو حاصل، وصيغ هذه الأفعال الجامدة لا تفيد ولا تتصرف فأشبهت الأسماء. وأمّا قول عدي^(٦):

لولا الحياءُ وأنّ رأسي قد عسا
فيه المشيبُ لزلتُ أمّ القاسمِ

ف"عسا" هنا بمعنى اشتدّ، وليست "عسى" الجامدة.

وقال المرادي^(٧): ((التقريب: ولا ترد للدلالة عليه إلا مع الماضي، ولذلك تلزم غالباً مع الماضي إذا وقع حالاً، نحو: ﴿وقد فصل لكم﴾ [الأنعام/١١٩]، وإن وردت دون "قد" فقيل: هي معه مقدّرة، وهي مذهب المبرد و الفراء^(٨)، وقوم من النحويين، وقيل لا حاجة إلى تقديرها وهو الأظهر)). وقال ابن عقيل^(٩): ((قد إذا

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٢٣٥/٢-٢٣٦.

(٢) انظر الجني الداني ٢٥٦، هذا ما قاله الكوفيون، والأخفش من البصريين، وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٢٥٢.

(٣) الإقليد في شرح المفصل ٤/١٨١١.

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤/١٠٨.

(٥) انظر مغني اللبيب ٢/٥٣٤-٥٣٥، وشرح الرضي على الكافية ٤/٤٤٥.

(٦) البيت لعدي ابن الرقاع العاملي، وهو في ديوانه ١٢٢، وفي مغني اللبيب ٢/٥٣٥، وشرح أبيات المغني ٤/٩٦، واللسان (عنا)، والتاج (عسا). ورواية الديوان و اللسان:

(عنا) أي فسد.

(٧) الجني الداني ٢٥٦.

(٨) - انظر المقتضب ٤/١٢٤-١٢٥، ومعاني القرآن للفراء ١/٢٤.

(٩) المساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٠٩.

دخلت على الماضي تقرّبه من الحال، أي من زمن الحال، فيقال إذا كان الماضي المثبت قريباً من زمن الحال، أي غير بعيد منه: "والله لقد قام زيداً". وقال الكفوي^(١): ((وتقريب الماضي من الحال، نحو: "قد قام زيداً").

من خلال ما تقدّم من أقوال النحويين، تبين أنّ "قد" إذا دخلت على الماضي قرّبتّه من الحال، وإذا لم تظهر معه فهي منويّة عند جمهور البصريين، ما عدا الأخفش.

قال أبو حيّان^(٢) في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء/٩٠]: ((جمهور النحويين على أنّ الفعل في موضع الحال، فمن شرط دخول "قد" على الماضي إذا وقع حالاً زعم أنّها مقدّرة، ومن لم ير ذلك لم يحتج إلى تقديرها، فقد جاء منه ما لا يحصى كثرة بغير قد)). ونقل ابن هشام^(٣) عن ابن عصفور^(٤) قوله: ((إنّ القسم إذا أُجيب بماضٍ متصرّفٍ مثبتٍ، فإن كان قريباً من الحال جيء بـ"اللام" و"قد"، نحو: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف / ٩١] وإن كان بعيداً جيء بـ"اللام" وحدها، كقول امرئ القيس^(٥):

حلفتُ لها بالله حَلْفَةً فَاجِرٍ
لناموا فما إن من حديث ولا صالي

جاءت اللام وحدها في قوله: "لناموا" لأنّ الفعل بعيدٌ عن الحال.

"والظاهر^(٦) في الآية والبيت عكس ما قاله ابن عصفور، إذ المراد في الآية: لقد فضلك الله علينا بالصبر وسيرة المحسنين^(٧)، والمراد في البيت أنّهم ناموا قبل مجيئه. ومقتضى كلام الزمخشري^(٨) أنّها في نحو: "والله لقد كان كذا" للتوقع لا للتقريب، فإنّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف/٥٩]: فإن قلت فما بهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقلّ عنهم نحو قوله:

حلفتُ لها بالله حَلْفَةً فَاجِرٍ
لناموا فما إن من حديث ولا صالي

قلت^(٩): "لأنّ الجملة القسميّة لا تساق إلاّ تأكيداً للجملة المُقسّم عليها التي هي جوابها، فكانت مَظَنَّةً لمعنى التوقّع الذي هو معنى "قد" عند استماع المخاطب كلمة القسم".

(١) الكلّيات ٤ / ٦١.

(٢) تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٣٠، و انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢ / ٣٢٣.

(٣) انظر مغني اللبيب ٢ / ٥٣٧ - ٥٣٨ والجنى الداني ١٣٥ بتصرف.

(٤) انظر المقرب لابن عصفور ٢٢٦. والآية ليست فيه.

(٥) ديوانه ٣٢، و البيت في المقرب ٢٢٦، وفي تفسير الكشاف ٢ / ١١٢، وفي الجنى الداني ١٣٥، وفي رصف الملباني ١١٠، وفي مغني اللبيب ٢ / ٥٣٨، وفي شرح أبيات مغني اللبيب ٤ / ١٠٢، والصالي: الذي يصطلي النار. يقول: لما حوّفتني من السّمّار أقسمت لها كاذباً أن ليس منهم أحدٌ إلاّ نائماً.

(٦) انظر مغني اللبيب ٢ / ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٧) انظر تفسير الكشاف ٢ / ٥٠٢.

(٨) انظر تفسير الكشاف ٢ / ١١٢ - ١١٣.

(٩) أي الزمخشري، انظر تفسير الكشاف ٢ / ١١٣.

ولا تكون "قد" للتَوْفُّع والتَّغْرِيب فقط ، وإنما تقع أيضاً للتقليل.

٣- التقليل: تستعمل "قد" للتقليل إذا دخلت على المضارع فهي تقلل من وقوع الفعل، نحو: "قد يشفى المريض، وقد ينجح المهمل". قال الرماني^(١): ((وإذا دخلت على المستقبل دلّت على التقليل، كقولك: "قد يفعل وقد يخرج أي: ذلك قليل منه)). أي: إذا دخلت "قد" على المستقبل المجرد من ناصب أو جازم أو حرف تنفيس دلّت على التقليل، قال الرضي^(٢): ((وتدخل على المضارع المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس، فينضاف إلى التحقيق في الأغلب، التقليل، نحو: "إنّ الكذوب قد يصدق"، أي: بالحقيقة يصدر منه الصدق، وإن كان قليلاً)). وقال الزمخشري^(٣): ((وتكون للتقليل بمنزلة ربّما إذا دخلت على المضارع، كقولهم: إنّ الكذوب قد يصدق)). شبه الزمخشري "قد" التي تأتي للتقليل مع المضارع بـ "ربّما" التي تأتي للتقليل تارة، كقول الشاعر^(٤):

الأربّ مولودٍ وليس له أبٌ وذوي ولدٍ لم يلدّه أبوان

وللتكثير تارة أخرى كما سيأتي .

وتقليل المضارع في الإخبار يدل على تقريبه من الحال، كقولك: "قد ينبو صارمك و قد يكبو جوادك" قال الخوارزمي^(٥): ((الثالث: تقليل الفعل في الإخبار بمعنى تقريبه من الحال، كقولك: "قد يصدق الكاذب، وقد يعثر الجواد" وذلك ما بين التقريب والتقليل من المقاربة، ألا ترى أنّ التقريب في الحقيقة تقليل المسافة)). وإذا دخلت على المستقبل تستعمل معه استعمال "ربّما" التي تفيد التقليل، كما تقدّم في قول الزمخشري. قال ابن يعيش^(٦): ((تستعمل "قد" للتقليل مع المضارع إذ تجري معه مجرى "ربّما"، تقول: "قد يصدق الكذوب، وقد يعثر الجواد" تريد أنّ ذلك قد يكون منه على قلة وندرة، كما تقول: "ربّما صدق الكذوب، وعثر الجواد" لما بين التقليل والتقريب من المناسبة، وذلك أنّ كلّ تقريب تقليل لأنّ فيه تقليل المسافة)).

وقال ابن الحاجب^(٧): ((فأما إذا دخل على المضارع فهو للتقليل، كقولهم: "إنّ الكذوب قد يصدق)).

وقال ابن مالك^(٨): ((أنّ تكون حرفَ تقليل، فتدخل على المضارع المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس

لتقليل وقوعه ، كقولك: "البخيل قد يعطي ، والجواد قد يمنع").

(١) معاني الحروف للرماني ص ٩٩.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٤٥.

(٣) المفصل ص ٣١٧ و انظر الأزهية في علم الحروف ٢١٢.

(٤) نسب البيت إلى رجلٍ من أزد السّراة، وهو في الكتاب ٢ / ٢٢٦ و ٤ / ١١٥، ١٥٤، وفي الخصائص ٢ / ٢٦٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١٢٦، ووصف الملباني ١٨٨. والمقصود في الشطر الأول عيسى عليه السلام، وفي الشطر الثاني آدم عليه السلام.

(٥) التخمير ٤ / ١٣٤.

(٦) شرح المفصل لابن يعيش ٨ / ١٤٧ بتصرف يسير .

(٧) الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٢٣٧، و انظر الكليات ٤ / ٦١، والتاج (قدد).

وقال المالقي^(٢): ((وقد تكون تقيلاً، وهو أيضاً قليل كقول الشاعر^(٣)):

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجتت بفرصاد

والإخبار في جميع ذلك لا يخالفها فهو الخاص بما الذي تبقى به)).

وقال المرادي^(٤): ((وترد للدلالة على التقليل مع المضارع، نحو: "إنّ البخيل قد يجود".

وقال ابن إياز: يفيد مع المستقبل التقليل في وقوعه أو في متعلقه. فالأول كقولك: "قد يفعل زيد كذا" أي

ليس ذلك منه بالكثير. والثاني: كقوله تعالى: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ [سورة النور / ٤]، والمعنى: أقلّ معلوماته ما أنتم عليه. قلت: والظاهر أنّ "قد" في هذه الآية للتحقيق، كما ذكره غيره^(٥).

ونازع بعضهم في إفادة "قد" المعنى التقليل، فقال "قد" تدلّ على توقع الفعل، ممن أسند إليه. وتقليل المعنى

لم يستفد من "قد"، بل لو قيل: "البخيل يجود" فهم منه التقليل، لأنّ الحكم على من شأنه البخل بالجد إن لم يحمل على صدور ذلك قليلاً كان الكلام كذباً، لأنّ آخره يدفع أوله)).

وقال ابن عقيل^(٦): ((وتكون "قد" حرفاً فتدخل على مضارع مجرّد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل

معناه، نحو: "قد يجود البخيل، وقد يصدق الكذوب، وهذا قد يُبطل به قول من زعم أنّها مع المضارع للتوقع، إلا أن يدعى أنّ ذلك لا يقال إلا عند توقع جودٍ وصدقٍ وقتاً ما، ويجوز أن يقال: إنّ "قد" لم تُفد التقليل، بل إنّما أفادته قرينة الاسم والحال)).

من خلال ما تقدّم من أقوال النحويين يتبيّن أنّ "قد" حرفاً إذا دخل على المضارع المجرّد من ناصب وجازم

وحرف تنفيس يقلّل الفعل في الإخبار، وذلك نحو: "إنّ الكذوب قد يصدق"، وأرى تشابهاً واضحاً في أقوالهم، وذلك لما بين التقريب والتقليل من المقاربة. "ألا ترى^(٧) أنّ التقريب في الحقيقة تقليل المسافة بين

الشيئين، والتقليل تقريب الأجزاء بعضها من بعض، فكيفما كانت فهي متصرّفة في الفعل، إما بالتقريب: فتقرّب زمان الوقوع من زمان الإخبار، وإما بالتقليل فتقلل وقوع الفعل نفسه بتباعد زمانه، ألا تراهم كيف

(١) شرح التسهيل لابن مالك ١٠٨ / ٤.

(٢) رصف المباني ص ٣٩٢.

(٣) البيت لـ عبيد بن الأبرص، وهو في ديوانه ص ٤٩، وهو في الكتاب ٢٢٤ / ٤، وفي المقتضب ١ / ١٨١، وفي الأزهية في علم الحروف ٢١٢. وهو مختلف فيه لأنه نسب إلى أكثر من شاعر. والقرن: المثل في الشجاعة. مصفراً أنامله: أي طعنته فنزف حتى اصفرّت أنامله. مجتت: صبغت. والفرصاد: التوت.

(٤) الجني الداني ٢٥٧ - ٢٥٨، و انظر معني اللبيب ٢ / ٥٤١ - ٥٤٢.

(٥) ذكر الزمخشري: في قوله تعالى: (قد يعلم ما أنتم عليه). أدخل "قد" ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، انظر تفسير الكشاف ٣ / ٢٦٠.

(٦) المساعد على تسهيل الفوائد ٣ / ٢١٠.

(٧) انظر الإقليد في شرح المفصل ٤ / ١٧١١.

بعُدوا أزمئة وقوع الصدق بعضها عن بعض بتقليل وقوع الصدق نفسه فيها منه، فكأثم قالوا: يقع ذلك منه أحياناً على الشذوذ والندرة . " إذن " قد " تستعمل للتوقع تارة، وللتقريب تارة أخرى، وللتقليل ثالثة، إذ وقفت عليها عند أصحابها، ولا بدّ من الوقوف على التكتير عند أصحابه.

٤- التكتير: تستعمل "قد" حرفاً للتكتير، وتكون بمنزلة "ربما" قال سيبويه^(١): ((وتكون "قد" بمنزلة "ربما"،

قال الشاعر:

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأنّ أثوابه مجتّ بفرصادٍ

كأنّه قال: "ربما"). أي: ربّما أترك، إذ استعملت "ربّما" في معنى التكتير حتى صارت كالحقيقة^(٢). " فإنّ الشاعر تمدّح^(٣) بقتله قرنه وتركه إيّاه مصفراً الأنامل، والإنسان إنّما يتمدّح بما يكثر لا بما يقلّ وينزُر! وهذا من باب حمل النقيض على النقيض، وهو باب عندهم واسعٌ، وقد صنع مثل هذا بـ "ربّما" أيضاً، ألا ترى إلى قوله^(٤):

فإنّ تمسّ مهجورَ الفناء فرّبما أقام به بعدَ الوفودِ وفودٌ

وذلك لا يتحقّق إلا بكثرة الإقامة".

وقال الزمخشري^(٥) ((إنّ "قد" إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى "ربّما" فوافقت "ربّما" في خروجها إلى معنى التكتير في نحو قوله:

فإنّ تمسّ مهجورَ الفناء فرّبما . . . البيت " . أي: قد أقام)).

وقال المبرّد^(٦): ((وتكون "قد" في موضع "ربّما"، كقوله^(٧):

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأنّ أثوابه مجت بفرصادٍ

وقوله^(٨) :

وقد أقودُ أمامَ الخيلِ سلهبةً يهدي لها نسبٌ في الحي معلومٌ)).

(١) الكتاب ٤/٢٢٤، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٦/ ١١٤.

(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٨٧.

(٣) انظر الإقليد في شرح المفصل ٤/ ١٨١٢ بتصرف يسير . أي: إنّ فروع فئاؤك من العاشية والزوار الذين كانوا يقصدون ذراك، ويطرون حراك فلاتهم بذلك، فكثيراً ما أقام بذلك الفناء الزوار، فقد جعل الحلّو بإزاء الازدحام من الناس كما ترى، وذلك لا يتحقّق إلا بكثرة الإقامة" الإقليد ٤/ ١٨١٢.

(٤) البيت في تفسير الكشاف ٣/ ٢٦٠، والإقليد في شرح المفصل ٤/ ٨١٢.

(٥) تفسير الكشاف ٣/ ٢٦٠.

(٦) المقتضب ١/ ١٨١، و انظر الكلّيات ٤/ ٦٢، واللسان والتاج (قدد).

(٧) تقدّم تخريجه في ص ٢٦.

(٨) البيت لعلمة بن عبدة ، وهو من قصيدة في المفضّليات ٤٠٣. وفرس سلهبة: الطويلة من الخيل ، يهدي بما: يقودها نسب لا ينقطع لأثام ذات عرق كريم.

أي: ربّما أترك، وربّما أقود، إذ جاءت "ربّما" بمعنى التّكثير في هذين البيتين.

وقال الرضي^(١): ((وتستعمل أيضاً للتكثير في موضع التمدّح كما ذكرنا في "ربّما"^(٢)).

قال تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوّقين﴾ [الأحزاب / ١٨]، وقال الشاعر:

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأنّ أثوابه مجت بفرصاد).

أراد بـ "قد"^(٣) "ربّما" التي تعني أنّ هذا الفعل من عاديّ وصفتيّ في الحرب إذ تعني التّكثير.

وقال المرادي^(٤): ((تأتي "قد" حرفاً للتكثير، وهو معنى غريب. ذكره جماعة من النحويين، وأنشدوا قول

الشاعر^(٥):

قد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملي جرداءُ معروقةُ اللّحينِ سُرحوبُ

ونحو ذلك من الأبيات الواردة في الافتخار. قلت: وجعل الزمخشري^(٦) منه قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلّب

وجهك في السماء﴾ [البقرة / ١٤٤] ورام بعضهم استنباط هذا المعنى من كلام سيبويه^(٧): وتكون "قد" بمنزلة

"ربّما" قال الشاعر:

قد أترك القرن مصفراً أنامله... البيت

كأنّه قال: ربّما، فتشبيهاه بـ "ربّما" يدل على أنّها للتكثير).

وذكر أبو حيّان^(٨): "أنّ كثرة الرؤية في الآية السابقة التي قال بها الزمخشريّ، مضادٌ لمدلول "ربّ" على

مذهب الجمهور، ثمّ هذا المعنى الذي ادّعاه وهو كثرة الرؤية لا يدلّ عليه اللفظ، لأنّه لم يوضع لمعنى الكثرة،

هذا التركيب أعني تركيب "قد" مع المضارع المراد منه الماضي ولا غير الماضيّ، وإنّما فهمت الكثرة من متعلّق

الرؤية، وهو التقلّب، لأنّ من رفع بصره إلى السماء مرّة واحدة لا يقال فيه: قلب بصره في السماء، وإنّما يقال:

قلب إذا ردّد، فالتكثير إنّما فهم من التقلّب الذي هو مطاوع التقلّب، نحو: "قطّعت فتقطّع، وكسّرت فتكسّر،

وما طواع التّكثير ففيه التّكثير". من خلال ما تقدّم من أقوال النحويين تبين أنّ الأصل في "قد" التي تأتي بمنزلة

(١) شرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٤٥.

(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٤ / ٢٨٧.

(٣) انظر الأز هيّة في علم الحروف ٢١٢.

(٤) الجني الداني ٢٥٨ - ٢٥٩، و انظر معني اللبيب ٢ / ٥٤٢ - ٥٤٣ بتصرف يسير.

(٥) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ٢٢٥، ونسب إلى إبراهيم بن بشر، وهو في الجني الداني ٢٥٨، وفي معني اللبيب ٢ / ٥٤٣، وشرح أبيات المعني ٤ / ١١٠. والغارة: الخيل

المغيرة، والشعواء: المتفرقة، والجرعاء: رقيقة الشعر، والمعروقة: القليلة اللحم، والسرحوب: الطويلة من إناث الخيل.

(٦) قال الزمخشري: (قد نرى): ربّما نرى، ومعناه كثرة الرؤيا، كقوله: قد أترك القرن... البيت. انظر تفسير الكشّاف ١ / ٢٠١.

(٧) انظر الكتاب ٤ / ٢٢٤.

(٨) انظر تفسير البحر المحيط ١ / ٦٠٢.

"ربّما" هو للتقليل كما تقدّم، وإذا ما جاءت للتكثير فهو مستفاد من السياق. وتستعمل "قد" مع الماضي والمضارع للتحقيق كما سنرى.

٥- التحقيق: تستعمل "قد" حرفاً للتحقيق، فتدخل على الماضي والمضارع لإزالة الشك عنه، وتحقيق معناه. قال ابن مالك^(١): ((تكون "قد" حرف تحقيق، فتدخل على كلّ من بناء المضارع والماضي لتقرير معناه، ونفي الشك عنه، ودخولها على الماضي كثير، كقوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [المجادلة / ١]، وقوله تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ [الصفّات / ٧٥]، وقوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ [طه / ١١٥]، ومن دخولها على المضارع قوله: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء﴾ [البقرة / ١٤٤]، وقوله: ﴿قد يعلم الله المعوّقين منكم﴾ [الأحزاب / ١٨]. إذن تدخل "قد" حرفاً على الماضي والمضارع^(٢)، فتفيد مع الماضي^(٣): التوقّع والتقريب والتحقيق.

قال الزمخشري^(٤) في قوله تعالى: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ [النور / ٦٤]: ((أدخل "قد" ليؤكّد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد)). و تفيد مع المضارع^(٥): التوقّع والتقليل والتحقيق والتكثير.

وتبيّن من خلال ما سبق أن "قد" حرفاً تدخل على الماضي والمضارع، لتحقيق الوقوع^(٦) من جهة، ونفي الشكّ من جهة ثانية، والتوكيد الذي يصل إلى التحقيق كما ذكر الزمخشري. وتأتي "قد" للنفي أيضاً.

٦- النفي: ربّما تستعمل "قد" حرفاً للنفي وتأتي بمنزلة "ما" النافية التي يُنصّب الجواب بعدها، كما سُمع عن بعض الفصحاء. قال ابن سيده^(٧): ((وتكون "قد" بمنزلة "ما"، فينفي بها. سُمع بعض الفصحاء يقول: "قد كنت في خير فتعرّفه"). أي: "ما كنت في خير فتعرّفه"، بنصب تعرّفه. ونقل ابن هشام عن ابن سيده^(٨) بأنّ "قد" تأتي بمعنى "ما" النافية، قال^(٩): ((السادس: النفي، حكى ابن سيده^(١٠): "قد كنت في خير فتعرّفه" بنصب "تعرف") لكّن ابن هشام لم يسلم بهذا قائلاً: "هذا غريب".

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٤ / ١٠٨، وانظر مغني اللبيب ٢ / ٥٤٤ - ٥٤٥.

(٢) انظر الجني الداني ٢٥٩، والكلّيات ٤ / ٦٢.

(٣) انظر الجني الداني ٢٥٩، وشرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٤٥.

(٤) تفسير الكشاف ٣ / ٢٦٠.

(٥) انظر الجني الداني ٢٥٩، وشرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٤٥، والكلّيات ٤ / ٦٢.

(٦) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٣ / ٢١٠.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ٦ / ١١٥، وانظر الكلّيات ٤ / ٦٢ للسان والتاج (قد).

(٨) انظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٦ / ١١٥.

(٩) انظر مغني اللب ٢ / ٥٤٥.

(١٠) انظر الحاشية (٣ و ٤).

علماً أنه نقل نصّاً آخر في هذا الباب عن ابن مالك^(١) هو قوله: ((وإليه أشار في التسهيل، بقوله: وربما نُفِي بـ "قد" فَنُصِبَ الجوابُ بعدها)). فنقل ابن هشام^(٢) عن ابن سيده وابن مالك قوليهما السابقين، وخالفهما بهما. إذ قال^(٣): ((وهو أن يكون كقولك لِلْكَذُوبِ: "هو رجلٌ صادقٌ"، ثمّ جاء النصب بعد "قد" نظراً إلى المعنى، وإن كان صاحباً القولين حكماً بالنفي لثبوت النصب، فهو غير مستقيمٍ لمجيء قوله^(٤)):

سَأْتِرُكَ مِنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ
وَأُحِقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرِيحَا

وقراءة بعضهم^(٥): ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء/ ١٨] بالنصب)).

أمّا قول ابن هشام في البيت فنصب الشاعر مضطراً دون نفي سابق، فهذا ما قاله سيبويه^(٦). إذ أراد ابن هشام: أن نَصَّبَ "تَعْرِفُهُ" في قولي ابن سيده وابن مالك، ليس بالضرورة أن يسبق بنفي، و أمّا الآية التي استشهد بها فقال الزمخشري: النصب فيها ضعيفٌ، ووافقهُ أبو حيان.

من خلال ما تقدّم تبين أنّ "قد" حرفاً تستعمل للنفي، إذ تأتي بمنزلة "ما" النافية، هذا ما سُمِعَ عن بعض الفصحاء كما تقدّم، والنصب في البيت ضرورة، وقراءة النصب في الآية فيها ضعف، ورجح العلماء السماع على القياس.

وتأتي "قد" حرفاً ترادفها "هل" أي: تستعمل "هل" في بعض معانيها استعمال "قد".

٧- مرادفة "قد" لـ "هل": قال ابن مالك^(٧) عن قد: ((وترادفها "هل") ((إذ تستعمل "هل" حرفاً في أحد معانيها استعمال "قد"، وتكون بمنزلتها وتأتي مع الفعل قال سيبويه^(٨): ((وكذلك "هل" إنّما تكون بمنزلة "قد" ولكنهم تركوا الألف إذ كانت "هل" لا تقع إلا في الاستفهام)). ووافق المبرد سيبويه، ووضّح قوله قائلاً^(٩): ((ومنها "هل" وهي للاستفهام، نحو قولك: "هل جاء زيد"، وتكون بمنزلة "قد" في قوله عزّ وجلّ: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ [الإنسان/ ١] لأنّها تخرج عن حدّ الاستفهام، تدخل عليها حروف الاستفهام، نحو قولك: "أم هل فعلت"، وإن احتاج الشاعر أن يلزمها الألف فعل، كما قال^(١٠):

(١) انظر التسهيل لابن مالك ص ٢٣١، وشرح التسهيل له ٤/ ٣٤-٣٥، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ٣/ ٩٠، ومغني اللبيب ٥٤٥/٢.

(٢) انظر مغني اللبيب ٥٤٦/ ٢.

(٣) انظر مغني اللبيب ٥٤٦/ ٢ بتصريف يسير .

(٤) البيت في الكتاب ٣/ ٣٩، وفي تفسير الكشاف ٣/ ١٠٧، وتفسير البحر المحيط ٦/ ٢٨٠، وأوضح المسالك ٤/ ١٩٧.

(٥) انظر تفسير الكشاف ٣/ ١٠٧، وتفسير البحر المحيط ٦/ ٢٨٠، وأوضح المسالك ٤/ ١٩٧، وقال الزمخشري قراءة النصب فيها ضعف، ووافقهُ أبو حيان.

(٦) انظر الكتاب ٣/ ٣٩، ٩٢.

(٧) شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ١٠٩، و انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٣/ ٢١١.

(٨) الكتاب ٣/ ١٨٩.

(٩) المقتضب ١/ ١٨١ - ١٨٢.

(١٠) البيت لزيد الخليل الطائي قاله في غارة أغارها على بني يربوع، فأصاب منهم و قتل وسبي، والبيت في المقتضب ٤/ ١٨٢، وفي مغني اللبيب ٤/ ٣٣٦، وفي شرح أبيات المغني

سائل فوارسَ يربوع بشدّتنا
أهل رأونا بسفح القف ذي الأكم).

ومثله قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ [الغاشية ١/]، وقوله: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾

[ص/٢١]. ف "هل" في الآيات السابقة جاءت بمعنى "قد".

أي: جاءت "هل" بمعنى "قد" لأنها خرجت عن حدّ الاستفهام بدخول أحد حروفه عليها، كقولك: "أهل قمت". ووافق الفراء^(١) والزجاج^(٢) وابن الأنباري^(٣) والزخشي^(٤) وأبو حيّان^(٥) وغيرهم^(٦) سيبويه، مجيء "هل" "هل" في الآيات السابقة بمعنى "قد".

وخالفهم ابن هشام في المعنى معتدراً بأنه لم يرَ في كتاب سيبويه ما قاله: إنّ "هل" تكون بمنزلة "قد". علماً أنّ نصّ سيبويه جاء واضحاً في باب: "تبيان أمّ لم دخلت على حروف الاستفهام ولم تدخل على الألف. فلعلّ ابن هشام لم يتسنّ له الوقوف على نسخة الكتاب التي وقف عليها النحويون الذين سبقوه، أو غاب عنه نصّ الكتاب، فلا بدّ من التماس العذر له.

وقيل: إنّ أصل "هل" "أهل" التي بمنزلة "قد". قال الرضي^(٧): ((لأنّ أصلها أن تكون بمعنى "قد"، فقيل: "أهل" وكثر استعمالها كذلك، ثمّ حذف الهمزة لكثرة استعمالها، استغناءً بها عنها وإقامة "هل" مقامها، وقد جاءت على الأصل، نحو قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي: فلمّا كان أصلها "قد" وهي من لوازم الأفعال، ثمّ تطّقت على الهمزة، فإنّ رأيت فعلاً في حيّزها، تدكّرت عهداً بالحمى، وحنّت إلى الألف المألوف وعانقته، وإن لم تره في حيّزها تسلّت عنه ذاهلة)). أي: إذا دخلت همزة الاستفهام على فعل، نحو: "أأقمت" وجاءت "هل" فدخلت على الفعل، وصارت "أهل قمت"، فالتقى استفهامان، وهما حرفاً حلقي، فحذفت الهمزة، وبقيت "هل" التي أصبحت بمنزلة "قد". من خلال ما تقدّم تبين أنّ "قد" حرفاً ترادفها "هل"، وتأتي "هل" بمعنى "قد" عند جُلّ النحويين والمفسّرين كما مرّ في الآيات السابقة.

هذا ما خلصتُ إليه أنّ "قد" تُستعمل اسماً وحرفاً. أما "قد" اسماً فهي على ضربين:

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٣/٣.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٧/٥.

(٣) انظر التبيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري ٤٨٠/٢.

(٤) انظر المفصل ص ٣١٩، وتفسير الكشاف ٦٦٥/٤.

(٥) انظر تفسير البحر المحيط ٣٨٥/٨.

(٦) انظر حروف المعاني للزجاجي ص ٢، ومعاني الحروف للرماني ص ٩٩، واللمع لابن حيّ ص ٣١٦، والخصائص ٤٦٢/٢، والأهية في علم الحروف للهروي ص ٢٠٨، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٨، وشرح الرضي على الكافية ٤٤٦-٤٤٧، ووصف المباني ص ٤٠٧، و التسهيل لابن مالك ٢٤٢-٢٤٣، و شرحه لابن مالك ٤/١٠٩، والجنى الداني للمرادي ص ٣٤٤-٣٤٥، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ٢١١/٣.

(٧) شرح الرضي على الكافية ٤٤٦-٤٤٧، و انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٨.

أحدهما: اسم يكون بمعنى حسب. وثانيهما: اسم فعل ماضٍ بمعنى كفى، تستعمل استعمال أسماء الأفعال.

وإذا كانت "قد" اسماً فهي مثل قط، وقط مثل بجل، وبجل مثل حسب. وقد وقدي وقديني، وقط وقطني وقطني، وبجل وبجلي وبجلي، وحسي سواء، وكلها تعني الاكتفاء والاحتساب، وهي أقلّ تمكناً من حسب. وأما "قد" التي تأتي اسماً لفعل ماضٍ بمعنى كفى فهي ترفع فاعلاً وتنصب مفعولاً به، نحو قولك: "قد زيداً درهمان، وقدك درهم، وقدني درهم".
وأما "قد" حرفاً صرفاً فتستعمل في سبعة معانٍ:

١- التوقع ٢- والتقريب ٣- والتقليل ٤- والتكثير ٥- والتحقيق ٦- والنفي ٧- واستعمال "هل"

بمعنى "قد" في أحد معانيها .

